(٩)

١/٤

إرشـــاد الثقات إلى اتفـــاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حققه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

وصف المخطوط

١- **عنوان الرسالة في المخطوط** : " إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات .

٢- **موضوع الرسالة** : في العقائد .

٣- **الرسالة من المجلد الرابع (الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني)** .

٤- **أول الرسالة** : بسم الله الرحمن الرحيم اللهم لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ...

٥- **آخر الرسالة** : ... كان الفراغ من تحرير هذا المختصر يوم الأربعاء لعله السابع والعشرون من شهر ربيع الآخر من شهور سنة إحدى وثلاثين بعد المائتين والألف ، بقلم مؤلفه المفتقر إلى رحمة الله ومغفرته ورضوانه محمد بن علي الشوكاني غفر الله لهما .

٦- **نوع الخط** : خط نسخي معتاد .

٧- **عدد الأوراق** : (٤٠) .

٨- **المسطرة** : الورقة (١) : عنوان الرسالة .

الورقة (٢) : ٢٤ سطراً .

الورقة (٣) : ٢٨ سطراً .

الورقة (٤-٧) : ٢٩ سطراً .

الورقة (٨) : ٣٢ سطراً .

الورقة (٩-١٣) : ٣١ سطراً .

الورقة (١٤-١٥) : ٣٠ سطراً .

الورقة (١٦) : ٢٨ سطراً .

الورقة (١٧-١٨) : ٣٢ سطراً .

الورقة (١٩) : ٣١ سطراً .

الورقة (٢٠) : ٣٢ سطراً .

الورقة (٢١-٢٣) : ٣١ سطراً .

الورقة (٢٤) : ٦ سطراً .

الورقة (٢٥) : ٣١ سطراً .

الورقة (٢٦) : ٣٢ سطراً .

الورقة (٢٧) : ٣١ سطراً .

الورقة (٢٨) : ٣٣ سطراً .

الورقة (٢٩-٣٠) : ٣٥ سطراً .

الورقة (٣١-٣٢) : ٣٤ سطراً .

الورقة (٣٣) : ٣٦ سطراً .

الورقة (٣٤) : ٣٥ سطراً .

الورقة (٣٥) : ٣٤ سطراً .

الورقة (٣٦) : ٣٧ سطراً .

الورقة (٣٧) : ٣٨ سطراً .

الورقة (٣٨) : ٣٤ سطراً .

الورقة (٣٩) : ٣٥ سطرا .

الورقة (٤٠) : ٢٨ سطرا .

٩- **عدد الكلمات في السطر** : (١١-١٣) كلمة .

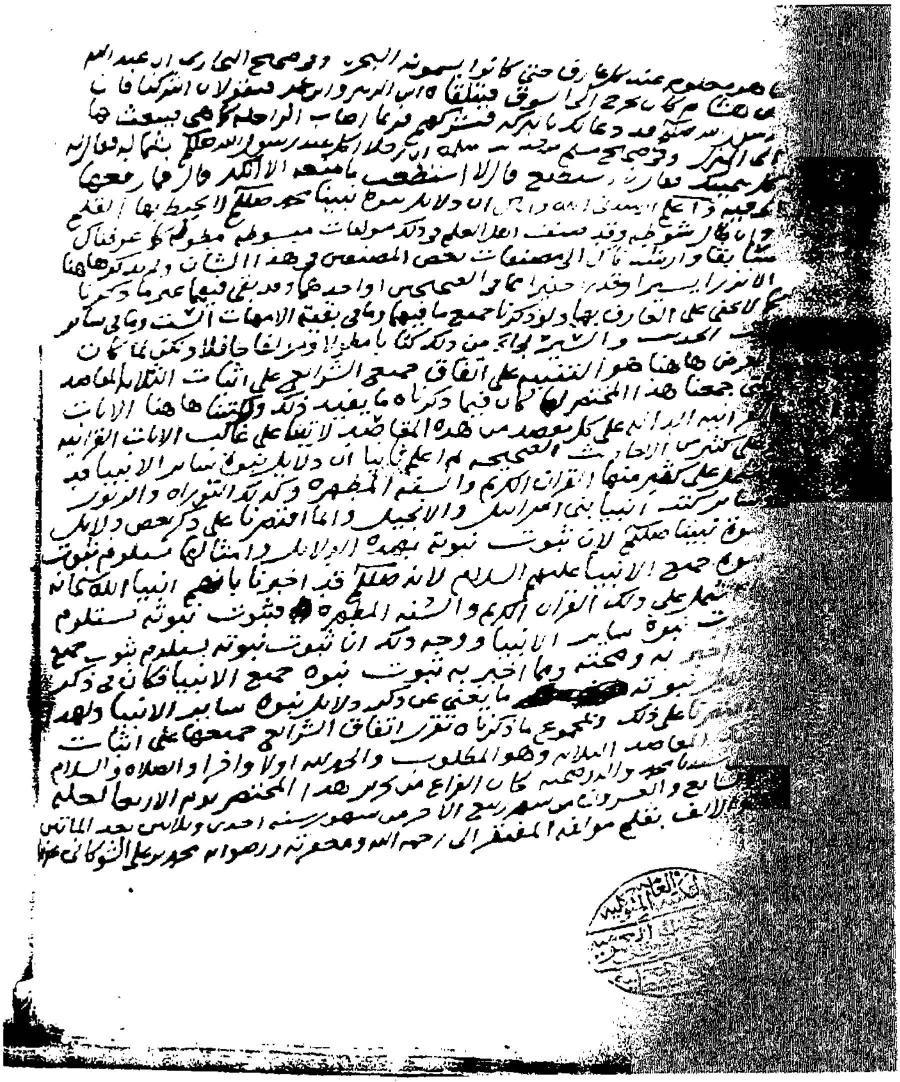
١٠- **الناسخ** : المؤلف : محمد بن علي الشوكاني .



[صورة عنوان الرسالة في المخطوط]

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم لك الحمد ملء السموات وملء الأرض
وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ولك الشكر بعدد كل شيء
وزنة كل شيء وملء كل شيء وعدد ما قد شكرك الشاكرون
وما سيشكرك الشاكرون اللهم وصل وسلم على رسولك المصطفى من خلقك
صلاة وسلاما به وما [illegible] المخلوقات وتجدد
الأوقات وعلى آله الطاهرين وصحبه [illegible] وبعد فإن القرآن العظيم
هذه [illegible] على اليسير [illegible] بالأمرين
الدنيا والدين تارة إجمالا وتارة تفصيلا [illegible] من مصالح المعاش والمعاد وأحاط بمنافع
وتعدد السور [illegible] ما فرطنا في الكتاب من شيء وتارة عموما وتارة خصوصا
احصاه [illegible] أحكام مبين ويقول عز وجل فلا تكرمن
من الآيات [illegible] على هذا المعنى ويقول تبارك وتعالى نبينا ما يكرمنا وغير ذلك
الكريم التي يكررها ويردد [illegible] الحكيم [illegible] مقاصد القرآن
في جميع سوره وتعالى [illegible] فانحصر علمها وأن سيرتها
ذلك من له [illegible] وحسن تدبر وجودة [illegible] فهي ثلاثة مقاصد يعرف
المقصد الأول إثبات التوحيد المقصد الثاني إثبات المعاد
المقصد الثالث إثبات النبوات ولما كانت هذه الثلاثة [illegible] وفضل تفكر
المقاصد مما اتفقت عليه الشرائع جميعا كما حكى ذلك الكتاب العزيز
وعن [illegible] جعلت [illegible] الكلام ها هنا على كل مقصد منها بإيراد ما يصح
ذلك من الكتب [illegible] أنبياء الله وكتبه على إثباتها لما في ذلك من عظيم الفائدة وجليل العائدة
فإنه من آمن بها كما ينبغي وأن [illegible] كما يجب فقد فاز بخيري الدارين
وأخذ بالحظ الوافر من السعادة الآجلة والعاجلة ودخل في الإيمان
الكامل من الباب الذي أرشد إليه نبينا صلى الله عليه وسلم في جواب من سأله عن الإسلام
والإيمان والإحسان فقال في الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
والقدر

[الصفحة الأولى من صورة المخطوط]



[الصفحة الأخيرة من صورة المخطوط]

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــــــد

اللهم لك الحمدُ ، ملءَ السماوات ، وملءَ الأرضِ ، وملء ما بينهما ، وملءَ ما شئتَ من شيء بعدُ ، ولك الشكر عددَ كلِّ شيء ، وزنة كل شيء ، وملءَ كلِّ شيء ، وعددَ ما قد شكركَ الشاكرون ، وما سيشكرك الشاكرونَ .

اللهم وصلِّ وسلِّم على رسولك المصطفى من خلقِك (محمد) صلاةً وسلاماً يدومانِ بدوامِ المخلوقاتِ ، ويتجدَّدان بتجدُّدِ الأوقات ، وعلى آله الطاهرينَ وأصحابه الأكرمين .

وبعدُ ، فإن القرآنَ العظيمَ ، قد اشتملَ على الكثير الطيِّبِ من مصالح المعاش والمعَادِ ، وأحاطَ بمنافع الدنيا والدِّين ، تارةً إجمالاً ، وتارةً وتفصيلاً ، وتارةً عموماً ، وتارةً خصوصاً ، ولهذا يقول – سبحانه – : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾[1] . ويقول – عز وجل – : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[2] . ويقول – تبارك وتعالى – : ﴿ [وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ][3] تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[4] ، ونحوَ ذلك من الآياتِ الدالةِ على هذا المعنى .

وأما مقاصدُ القرآن الكريم التي يكررها ، ويوردُ الأدلة الحسِّيةَ والعقلية عليها ، ويشير إليها في جميع سُوَرِهِ ، وفي غالب قصصِهِ وأمثالِهِ ، فهي ثلاثة مقاصدَ ، يعرف ذلك مَنْ له كمال فهم ، وحسنُ تدبُّر ، وجودةُ تصوّر ، وفضل تفكُّر .

المقصدُ الأول : إثباتُ التوحيد .

المقصدُ الثاني : إثباتُ المعاد .

---

(١) : [الأنعام : ٣٨] .

(٢) : [يس : ١٢] .

(٣) : غير موجود في المخطوط .

(٤) : [النحل : ٨٩] .

المقصدُ الثالث : إثباتُ النبوَّات .

ولما كانت هذه الثلاثةُ المقاصدِ ، مما اتفقت عليه الشرائع جميعاً ، كما حكى ذلك الكتابُ العزيز في غير موضع أحببتُ أن أتكلَّم هاهنا على كل مقصدٍ منها ، بإيراد ما يوضِّحُ ذلك من الكتب السابقة ، وعن الرسل المتقدِّمين ، مما يدل على اتفاق أنبياء الله وكتبه على إثباتها ، لما في ذلك من عظيم الفائدة ، وجليلِ العائدة ؛ فإن من آمن بها كما ينبغي ، واطمأنَّ إليها كما يجبُ ، فقد فاز بخيري الدارينِ ، وأخذ بالحظِّ الوافر من السعادةِ الآجلةِ والعاجلة ، ودخل إلى الإيمان الخالصِ من الباب الذي أرشدَه إلينا نبينا - ﷺ - في جواب من سأله عن الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ ، فقال في الإيمان : " **أن تؤمنَ بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله[١] ، والقدرِ خيرِه وشرِّه** ". هكذا ثبت في الصحيحين[1] وغيرهما[1] من طرق كثيرة .

ولا ريب أن من آمن بالله ، وبما جاءت به رسلُه ، ونطقت به كتبُه ، فإن إيمانَه بهذه المقاصد الثلاثةِ ، هو أهمُّ ما يجب الإيمان به ، وأقدمُ ما يتحتَّم عليه اعتقادُه ، لأن الكتب قد نطقت بها ، والرُّسلَ قد اتفقت عليها اتفاقاً يقطع كلَّ ريب ، وينفي كلَّ شُبْهَةٍ ، ويُذْهِبُ كلَّ شكٍّ .

وسمَّيْتُ هذا المختصرَ : (إرشادُ الثقاتِ إلى اتفاق الشرائعِ على التوحيدِ والمعادِ والنبوَّاتِ) . وبالله أستعينُ ، وعليه أتوكلُ .

---

(١) : يشير إلى حديث جبريل الطويل ، أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٠ و ٤٧٧٧) ومسلم في صحيحه رقم (٩ و ١٠) من حديث أبي هريرة .

- وأخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢، ٨/٣) من حديث عمر بن الخطاب .
- وأخرجه أبو داود في "السنن" رقم (٤٦٩٥) من حديث بريدة **وهو حديث صحيح** .

وهو حديث مشهور في كتب السنة وقد سَمَّى النبي ﷺ عليه " الدين " فقال : " **هذا جبريلُ أتاكم يعلمكم دينكم** " .

وانظر الحديث تخريجاً وتعليقاً في " معارج القبول " (٧٢٣/٢ – وما بعدها) بتحقيقي .

واعلم أن إيراد الآيات القرآنية ، على إثبات كلِّ مقصد من هذه المقاصدِ ، وإثبات اتفاقِ الشرائع عليها ، لا يحتاج إليه من يقرأ القرآن العظيم .

فإنه إذا أخذ المصحفَ الكريم ، وقف على ذلك في أيِّ موضع شاء ، ومن أي مكان أحبَّ ، وفي أيِّ محلٍّ منه أراد ، ووجدَه مشحوناً به من فاتحته إلى خاتمته .

الفصل الأول

في بيان اتفاق الشرائع على التوحيد

اعلم أن قد روَى جماعةٌ من أكابر علماء الإسلام أن الشرائعَ كلَّها ، اتفقتْ على إثباتِ التوحيدِ على كثرة عددِ الرسلِ المرسلينَ ، وكثرةِ كتب الله - عز وجل - ، المترلةِ على أنبيائه .

فإنه أخرج ابن حبانَ[(١)] والبيهقيُّ[(٢)] بسندينِ حسنينِ من حديث أبي ذر : " **أن الأنبياءَ مائةُ ألفٍ وأربعةٌ وعشرونَ ألفاً ، وأن الكتب المترلةَ مائةٌ وأربعةُ كتبٍ** " .

فالتوحيدُ هو دين العالَمِ أوّلَه وآخِرَهُ ، وسابقَه ولاحقَه . ومن خالف في ذلك فجعل لله - عز وجل - شريكاً ، وعبدَ الأصنام ،فإنه كما أرشد إليه القرآن حكايةً عنهم بقوله : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [(٣)] مقِرٌّ بأنه إيمانٌ ، وإنما جعل الشريكَ وُصْلَةً إلى الربِّ – سبحانه – ، ووسيلةً إلى التقريب إليه . وما ثبت في الصحيح[(٤)] أهم

---

(١) : في صحيحه (٢/٧٦ رقم ٣٦١) من طريق إبراهيم بن هشام بن يحي بن يحي الغساني قال حدثنا عن جدي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر به .

وإبراهيم بن هشام هذا قال عنه أبو حاتم في " الجرح والتعديل " (٢/٤٢-٤٣) : كذاب .

(٢) : في " السنن الكبرى " (٩/٤) .

قلت : وأخرجه ابن عدي في " الكامل " (٧/٢٦٩٩) وأبو نعيم في " الحلية " (١/١٦٨) كلهم من طريق يحي بن سعيد القرشي السعدي عن ابن جريج ، عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر بطوله .

وفيه يحي بن سعيد قال ابن حبان عنه في " المجروحين " (٣/١٢٩) : شيخ يروى عن ابن جريج المقلوبات ، وعن غيره من الثقات الملزقات لا يحل الاحتجاج به إذا انفرد .

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف جداً والله أعلم .

(٣) : [الزمر : ٣] .

(٤) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٢/١١٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان المشركون يقولون : لبيك لا شريك . قال : فيقول رسول الله ﷺ " **ويلكم قَدْ . قَدْ** " فيقولون : =

كانوا يقولون : " لبيك لا شريك لك ، إلا شريكٌ هو لك تملِكه وما مَلَكْ " .

وها نحن نذكر لك ما كتب الله - عز وجل - من أدلة التوحيد ، وهي وإن كان عددُها ما تقدم لكنه لم يبقَ بأيدي أهلِ المِللِ منها فيما وجدناه عندهم بعد البحثِ عن ذلك ، ومزيدِ الطلبِ له ، إلا التوراةَ ، والزَّبورَ ، والإنجيلَ ، وكتب نبُّواتِ أنبياءِ بني إسرائيلَ .

أما التوراةُ[1] فالنصوص فيها على ذلك كثيرة جداً ، وقدِ اشتملتْ على ذكر ما كان

= إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك . يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت .

(١) : التوراة : كلمة عبرية معناها الشريعة وتسمى الناموس أي القانون كما تسمى أيضاً (البانتاتيك) وهي كلمة يونانية تعني الأسفار الخمسة وهي :

١) : سفر التكوين : يقع في (٥٠) إصحاحاً ، وسمي بذلك لاشتماله على قصة خلق العالم ، ثم قصص آدم وذريته ونوح وإبراهيم وذريته وينتهي هذا السفر باستقرار بني إسرائيل وموت يوسف عليه السلام .

٢) : سفر الخروج : ويقع في (٤٠) إصحاحاً . وسمي بذلك نسبة إلى حادثة خروج بني إسرائيل من مصر إلى أرض سيناء بقيادة موسى عليه السلام ، وفيه يذكر الحوادث التي جرت لبني إسرائيل في أرض التيه ، والوصايا العشر والكثير من الأحكام والتشريعات .

٣) : سفر اللاويين : ويقع في (٢٧) إصحاحاً ، ويحتوي على شئون العبادات وخاصة القرابين والطقوس الكهنوتية وكانت الكهانة موكولة إلى سبط لاوي بن يعقوب فلذلك سمي السفر نسبة إليهم .

٤) : سفر العدد : ويقع في (٣٦) إصحاحاً ، وسمي بذلك لأنه حافل بالعد والإحصاء لأسباط بني إسرائيل ومما يمكن إحصاؤه من شؤونهم ويتخلل ذلك بعض الأحكام والتشريعات .

٥) : سفر التثنية : ويقع في (٣٤) وسمي بذلك لإعادة ذكر الوصايا العشر وتكرار الشريعة والتعاليم مرة ثانية على بني إسرائيل عند خروجهم من أرض سيناء .

وهذا السفر ينهي التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ورد في آخرها النص الآتي : " فمات هناك موسى ، عبد الرب في أرض مؤاب بأمر الرب! وتم دفنه في الوادي في أرض مؤاب تجاه بيت فاعور ، و لم يعرف إنسان قبره إلى اليوم وكان موسى ابن مائة وعشرين حين مات ... " .

يقع من الخصومات لأهلِ الأصنامِ ، وإيرادِ الحُجَجِ عليهم ، ولا سيما بعد موت موسَى ، وقيام أنبياء بني إسرائيل ، فإنها وقعت بينهم قصصٌ يطولُ شرحُها ، وكانوا يقاتلون من عبد الأصنام ، ويستحلُّون دماءَهم ويحشدُهم على ذلك أتباعُ موسى ، وأخبارُ المِلَّةِ اليهودية[٢] ، وكلٌّ نبي يبعثه الله من أنبياء بني إسرائيل ، يوجبُ على بني إسرائيل قتالَ من يعبدُ الأصنام ، وغزوَهم إلى ديارهم ، وقد اشتملتِ التوراةُ أيضاً على حكاية ما كان من أخبار الأنبياء قبل موسى ، وما كان بينهم من الدعاء إلى التوحيدِ ، والفَرارِ من الشركِ، والتنفيرِ عنه .

ومن نصوص التوراةِ ما ذكر في (الفصل العشرينَ) منها من السِّفْر الثاني[١] .

ولفظُه : " **أنا الله ربُّك الذي أخرجك من أرض مصرَ من بيت العبوديةِ ، لا يكنْ لك معبوداً آخرَ من دوني ، لا تصنعْ لك منحوتاً ، ولا شِبْهَاً لما في السماء من العلُوِّ ، وما في الأرض مثلاً ، وما تحتَ الأرض ، لا تسجِّدْ لهم ، ولاتعبدْهـا ، لأني الله ربُّك القادرُ الغيور** " انتهى .

= • وتذكر دائرة المعارف الفرنسية (معجم لاروس) تحت عنوان توراة : أن العلم العصري ولا سيما النقد الألماني قد أثبت بعد دراسات مستفيضة في الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات أن التوراة لم يكتبها موسى وإنما كتبها أحبار لم يذكروا اسمهم عليها ألفوها على التعاقب معتمدين على روايات سماعية سمعوها قبل أسر بابل اهـ .

وصرح بذلك أيضاً الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوز (ت ١٦٧٧م) ذكر فيه كلام عالم يهودي شك في نسبة الأسفار الخمسة ونسبتها إلى موسى - في كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة (ص٢٦٦-٢٧١) حيث ذكر ملاحظات ابن عزرا - وأضاف إليها ملاحظات شخصية فقال يبدو واضحاً وضوح النهار أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة بل كتبها شخص عاش بعد موسى بقرون عديدة .

وقد ذكر هذه النتيجة المؤرخ ول ديورانت في موسوعته قصة الحضارة (٢/٣٦٧) .

• علماً بأن التوراة تعتبر جزءاً رئيساً من (الكتاب المقدس) عند اليهود - والذي يسميه النصارى بالعهد القديم وينقسم إلى التوراة ، الأسفار التاريخية ، أسفار الأناشيد ، أسفار الأنبياء .

(١) : أي سفر الخروج .

وكرر هذا في مواضعَ منها غيرُ هذا الموضعِ ، وفي الفصل السادسِ والعشرينَ من السفر[1] الثالثِ من التوراة ، ما لفظُه : " ولا تصنعُوا لكم أوثاناً ، ومنحوتاً ونُصُباً ، ولا تصنعوا لكم حَجَراً من خزَفٍ ، لا تصنعُوا في بلدكم لتسجدوا له ، أنا الله ربُّكم " انتهى.
وفي التوراة من النصوص المفيدةِ لهذا المعنى ، ما يصعُب الإحاطةُ به ، ويتعسَّر الذِّكْر لجميعه .

وفي الفصل (الثالث والعشرينَ) من كتاب يوشعَ بنِ نون ما لفظُه : " وباسمِ معبوداتِهم ، لا تذكُروا ، ولا تحلِفُوا ، ولا تعبدُوهم ، ولا تسجدُوا لهم ، بل اللهُ ربُّكم، وبه تتمسكون كما فعلتُم إلى هذا اليوم "، وفي كتابة نصوصٌ كثيرة قاضيةٌ بإثبات التوحيد .

وكذلك في كتبِ مَنْ بعدَه من أنبياء بني إسرائيل الذين لهم كتبٌ مدوَّنةٌ وقفنا عليها ، وهم : صمويلُ الصبيُّ ، ثم اليسعُ ، ثم داودُ ، ثم سليمانُ ، ثم عَزْرَا الكاتبُ ، وهو المسمّى في القرآن : (عُزَيْرٌ) ، ثم إيليا ، ثم عُوْبَدُ ، ثم أيوبُ ، ثم أشعيا بن أموصٍ ، [وهو المسمّى في القرآن : (إلياسُ) . وفي (السفر الثاني) من أسفارِ الملوكِ من التوراة ، أن الله رفعَه إلى السماء] ، ثم أرميا ، ثم حزقيالُ ، ثم دانيالُ . ثم هوشعُ ، وهو المسمى في الكتاب يوشعُ، ثم يونانُ ، وهو المسمّى في القرآن يونسُ ، والمسمّى أيضاً بذي النون . ثم ميخا ، ثم ناحوم، ثم حبقوقُ ، ثم صفونيا ، ثم حجي ، ثم يوحنَّا ، ويقال : (ملاحيا) وهو المسمّى في القرآن (يحي) . ثم بعد هؤلاء بعث الله - عز وجل - المسيحَ بنَ مريمَ عليهم وعلى نبينا صلاةُ الله وسلامُه .

وفي الزبور بما فيه التصريحُ بإثبات التوحيد مواضعُ كثيرةٌ ، فمنها في المزمور[2] السابعَ

---

(١) : أي سفر اللاويين .

(٢) : سفر المزامير : وهي مجموعة من الأشعار الملحنة وغرضها تمجيد الله وشكره وكانت ترنم على صورة المزمار وغيره من الآلات الموسيقية . =

عشرَ ما لفظه : " كلامُ الربِّ مختبرٌ ، وهو ناصر جميع المتوكلينَ عليه ، لأن مَنِ الإلهُ غيرُ الربِّ ، أو مَنِ الإلهُ سوى إلهنا " ؟ انتهى .

وفي المزمور الموفي ثمانينَ . ما لفظُه[٣] : " ولا يكن فيك إلهٌ جديدٌ ، ولا تسجُدْ لإلهٍ غريبٍ ، لأنني أنا هو الربُّ إلهُك " انتهى .

وفي المزمور الخامسِ والثمانينَ ما لفظه : " الذي هو وحدَه إلهٌ ، وله وحدَه أيضاً يجبُ أن يسجُدَ الجميعُ ويخدُموا " انتهى . وفيه أيضاً ما لفظُه : " أنت وحدَك الإلهُ العظيم " انتهى .

وفي المزمور الرابع والتسعين[١] ما لفظه : " بالمزمور يهلِّلُ له ، لأن الربَّ إلهٌ عظيم ، ومَلِكٌ كبير على جميع الآلهة " انتهى . وفي المزمور الخامسِ والتسعينَ[٢] ما لفظه : " فإن الربَّ عظيمٌ ومسبَّحٌ جداً ، مرهوبٌ هو على كل الآلهةِ ، لأن كلَّ آلهةِ الأُممِ شياطينُ ، فأما الرب فصنَعَ السماواتِ " انتهى .

وفي المزمور السادسِ والتسعينَ ما لفظه : " يخزى جميعُ الذين يسجدونَ للمنحوتاتِ المفتخرونَ بأصنامِهم . اسجُدُوا له يا جميعَ ملائكته " انتهى . وفي المزمور الخامس[٣] بعد المائة : " وعبدوا منحوتاتِهم[٤] فصار ذلك عَثَرَةً لهم " انتهى .

● وفي العبرانية يسمى (كتاب الحمد) وقد عُرفت باسم (مزامير داود) بالنسبة لعدد المزامير التي نسبت إليه وبلغت (٧٣) من (١٥٠) مزموراً وتنقسم هذه المزامير إلى خمسة أقسام ، وتقرأ هذه المزامير في الكنيسة والعبادات الفردية والجماعية .

انظر : ترجمته في سفر صموئيل الأول وسفر الملوك الأول ، " السنن القويم " (ج١٦) ، " قاموس الكتاب " (٤٣٠، ٣٦١ ، ٣٦٦) .

(١) : بل هي في المزمور الخامس والتسعون مع اختلاف بسيط .

(٢) : بل هي في المزمور السادس والتسعين مع تغير بسيط .

(٣) : بل هي في المزمور السادس بعد المائة : (فصارت لهم شركاء) .

(٤) : وفي المزمور أصنامهم بدل (منحوتاتهم) .

وفي المزمور الثالثَ عشرَ بعد المائةِ : " إلهُنا في السماء وفي الأرض ، وكلّما شاء صنع. أوثانُ الأمم فضةٌ وذَهَبٌ ، أعمالُ أيدي الناس لها أفواهٌ ، ولا تتكلّمُ ، لها أعينٌ ولا تُبْصِرُ ، لها آذانٌ ولا تسمعُ ، لها مناخِرُ ولا تشمُّ ، لها أيادي ولا تَلْمَسُ ، لها أَرْجُلٌ ولا تمشي ، ولا تصوِّتُ بِحَنْجَرَتِها " انتهى .

وفي المزمور الثالث والثلاثينَ بعد المائةِ ، ما لفظه : " أوثانُ الأممِ فضّةٌ وذَهَبٌ ، أعمال أيدي الناسِ ، لهم أفواه ولا يتكلّمون ، ولهم أعينٌ ولا يُبصِرونَ ، ولهم آذانٌ ولا يسمعون، وليس في أفواههم روحٌ . مِثْلُهم يصيرُ الذين يصنعونَهم ، وجميع المتوكّلين عليهم " . انتهى .

وأما إنجيل المسيحَ - عليه السلام - فهو مشحونٌ بالتوحيد ، وبذمِّ المشركين والمنافقينَ والمرائينَ ، ومن أرادَ استيفاءَ ذلك ، فليراجعِ الأناجيلَ(1) الأربعةَ التي جمعها الأربعةُ من

---

(1) : إن الأناجيل تمثل جزءاً رئيساً من (الكتاب المقدس) عند النصارى ، الذي ينقسم عندهم إلى قسمين رئيسين هما :

1) : العهد القديم : الذي يحتوي على أسفار الأنبياء الذين كانوا قبل المسيح ومنها التوراة .

2) : العهد الجديد : ويحتوي على الأسفار التي تبدأ بظهور المسيح عليه السلام ، وتنقسم بحسب محتوياتها إلى ثلاثة أقسام هي :

- قسم الأسفار التاريخية وتشمل الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل .
- قسم الأسفار التعليمية وتشمل رسائل الحواريين وتلاميذ المسيح .
- قسم رؤيا يوحنا اللاهوتي .

● أما الإنجيل لغة : فهو كلمة مأخوذة من اللفظ اليوناني (إيفانجليون EVANGELION) ومعناه (الخبر الطيب) أو البشارة .

واصطلاحاً : يزعم النصارى أن المسيح عليه السلام قد استعمل كلمة الإنجيل بمعنى (بشرى الخلاص من خطيئة آدم الأزلية) التي حملها إلى البشر ، واستعملها تلاميذه من بعده بالمعنى نفسه ، ثم استعملت هذه الكلمة على الكتاب الذي يتضمن هذه البشرى وهي سيرة المسيح عليه السلام وقد غلب استعمالها بهذا المعنى على أنجيل متى ، إنجيل مرقس وإنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنا . =

الحواريينَ ، ومن ذلك ما في الإنجيلِ الذي جمعَهُ (القدِّيس متَّى) في الفصل الخامسِ والخمسينَ منه ما لفظه : " إن أخطأَ إليك أخوكَ فاذهب وعاتِبْه فيما بينَك وبينَه وحدَه ، فإنْ سمعَ منك فقد ربحتَ أخاكَ ، وإن لم يسمعْ منك ، فخذْ معك أيضاً واحداً أو اثنين لكي [تقومَ كلُّ كلمة](1) على فمِ شاهدين أو ثلاثةٍ ، تُثْبتُ كلَّ كلمةٍ ، وإن لم يسمعْ منهم ، فقل للبيعةِ ، وإن لم يسمعْ أيضاً من البيعةِ فيكون عندك كوثني وعشارٍ " انتهى .

وهكذا الرسائلُ(2) التي صنّفها جماعة من الحواريينَ ، فإنها مشحونةٌ بالتوحيد ، ونفي

= انظر : كتاب " يسوع المسيح " (ص١٤) ، للأب بولس إلياس ، " قاموس الكتاب " (ص١٢٠-١٢١) ، " قصة الحضارة " (٢٠٦/١١) لويورانت ، ومحتويات هذه الأناجيل فيمكن تقسيمها إلى خمسة موضوعات .

١) : القصص : ويشغل الحيز الأكبر منها تتحدث عن قصة المسيح عليه السلام بدءاً بولادته ثم دعوته ثم موته على الصليب ودفنه ثم قيامه من القبر ثم صعوده إلى السماء - حسب زعمهم - .

٢) : العقائد : وتتركز بشكل رئيسي حول ألوهية المسيح وبنوته لله وتقرير أسس العقيدة النصرانية المنحرفة وأكثر الأناجيل صراحة في تقرير ذلك إنجيل يوحنا .

٣) : الشريعة : يفهم من الأناجيل أنها أقرت شريعة موسى عليه السلام إلا ما ورد عن المسيح بتعديله أو نسخه في أمور محدودة وهي : الطلاق وقصاص الجروح ورجم الزانية .

٤) : الأخلاق : يفهم منها الغلو والإمعان في المثالية والتسامح والعفو ودفع السيئة بالحسنة (متى الإصحاح ٥) .

٥) : الزواج وتكوين الأسرة : لم تهتم الأناجيل كثيراً بمسألة الزواج ، ولكن يفهم منها عموماً أن المتبتل الأعزب أقرب إلى الله من المتزوج الذي يعاشر النساء .

وقد اعتمدت هذه الأناجيل الأربعة عند النصارى مجمع نيقية عام ٣٢٥م .

(١) : زيادة يستلزمها السياق .

(٢) : وهي رسائل الحواريين والتلاميذ - وتعتبر من الرسائل التعليمية لأنها توضح تعاليم النصرانية ومبادئها تشتمل على (٢١) رسالة موزعة كالآتي :

- (١٤) رسالة لبولس عدد إصحاحاتها (٩٩) إصحاحاً .
- رسالة واحدة ليعقوب عدد إصحاحاتها (٥).

=

الشركِ ، والذّمّ لأهله ، ومثلُ ذلك الكتابُ المشتملُ على سيرةِ أصحاب المسيحِ المسمَّى عندهم (إبراكسيس)[1] .

وبالجملة فكتب الله - عز وجل - بأسْرِها ، ورسُله جميعاً متّفقون على التوحيد والدعاءِ إليه ، ونفي الشركِ بجميعِ أقسامِه .

وأما دعاء الأنبياء المتقدمينَ على موسى إلى التوحيد فقد تضمنتِ التوراةُ حكايةَ ما كانوا عليه من التوحيدِ والدعاء إليه ونفي الشرك[٤] فإنّها قد حكَتْ ما وقع منهم من عند أبينا آدمَ ومَنْ بعدَه من الأنبياء ، كنوحٍ ، وإبراهيمَ ، ولوطٍ ، وإسحاقَ ، وإسماعيلَ ، ويعقوبَ ويوسُفَ إلى عند قيام موسى - سلام الله عليهم أجمعين - .

= - رسالة واحدة ليهوذا مكونة من إصحاح واحد .

- رسالتان لبطرس عدد إصحاحاتها (٨) .

- رسائل يوحنا عدد إصحاحاتها (٧) .

- ومنها رسائل - رؤيا يوحنا - صاحب الإنجيل الرابع - وهو عبارة عن تنبؤات مستقبلية عدد إصحاحاتها ٢٢ إصحاحاً .

انظر : " تاريخ الكنيسة " (ص ١٥٢ ، ١٥٣) يوسابيوس القيصري ترجمة القمص مرقس داود ، "كتاب الغفران بين الإسلام والمسيحية" (ص٣٣-٣٥) للأستاذ إبراهيم خليل - الذي كان قسيساً وأستاذ اللاهوت بكلية اللاهوت بأسيوط ثم هداه الله إلى الإسلام - .

(١) : سفر أعمال الرسل ويسمى براكسيس : وهي كلمة يونانية تعني الأعمال - وينسب هذا السفر إلى لوقا - صاحب الإنجيل الثالث - وعدد إصحاحاته (٢٨) إصحاحاً يحتوي على سير الحواريين وتلاميذ المسيح وجهودهم في سبيل نشر تعاليم المسيح بعد رفعه عليه السلام - حسب زعمهم - .

وهذه الأنواع الثلاثة [براكسيس ورسائل الحواريين والتلاميذ ، رؤيا يوحنا] رسائل يزعم النصارى أن تلاميذ المسيح قد كتبوها إلى كنائس معينة أو أشخاص أو النصارى عامة ، ثم اعتبرتها الكنيسة أسفاراً قانونية وأنها كتبت بإلهام من الروح القدس لمؤلفيها . وكان اعتمادها على مراحل منها [انعقد مجمع بيقيه سنة ٣٢٥م ومجمع لوريسيا سنة ٣٦٤م ومجمع قرطاج سنة ٣٩٧م ومجمع ترلو سنة ٦٩٢م ، مجمع فلورنس سنة ١٤٣٩م ، مجمع ترنت سنة ١٥٤٢-١٥٦٣م .. " .

الفصل الثاني

في بيان اتفاق الشرائع على إثبات المعاد

اعلم أنه سبق لي تأليفُ رسالةٍ في هذا سمَّيْتُها : (المقالةُ الفاخرةُ في بيان اتفاقِ الشرائعِ على إثباتِ الدار الآخرة)[١] ولمَّا كان هذا هو أحدَ المقاصد الثلاثةِ التي جمعتُ لها هذا المختصرَ ، فإنَّ ذكر بعض ما في كتب الله - عز وجل - مما يتعلَّق به لازماً .

ففي التوراة في أولها عند الكلامِ على ابتداءِ الخليقة التصريح باسمِ الجنةِ ، ولفظُهُ : "فغرسَ الله جناناً في عَدْنٍ شرقياً[٢] ، وابقاً ، ثم آدمَ الذي خلق وأنبتَ الله " ، ثم كلَّ شجرةٍ حَسَنٍ منظرُها ، وطيِّبٍ مأكلُها ، وشجرةُ الحياةِ في وسط الجنانِ ، وشجرةُ معرفةِ الخيرِ والشرِّ ، وكان نهرٌ يخرج من عَدْنٍ ، ليسقيَ الجنانَ . ومن ثمَّ يتفرق ، ويصير أربعةَ رؤوسٍ . اسم أحدِهما النيلُ ، وهو المحيط بجميع بلدِ زويلةَ الذي ثم الذهبَ ، وذهبُ ذلك البلد جيِّد ، ثم اللؤلؤُ ، وحجارةُ البَنُّوْرِ . واسم النهر الثاني جيحونٌ ، وهو المحيط بجميع بلد الحبشة . واسم النهر الثالث الدجلةُ وهو السائر شرقي الموصلِ . والنهرُ الرابعُ ، هو الفراتُ " . انتهى .

وكما وقع التصريحُ في التوراة بالجنَّةِ كما ذكرنا ، فقد وقع التصريحُ فيها باسم النار. ولفظُها في التوراة (شول واش) قال علماء اليهود : ومعنى اللفظينِ (جهنَّم) .

وفي موضع آخرَ في التوراة ما لفظُه : " وإن الله خلق خلْقاً وتفتحُ الأرض فاها فيترلونَ إلى الثَّرى ، هؤلاء القومُ الذين عَصَوُا الله . وقال : أحجبُ رحمتي عنهم ، وأريهم عاقبتَهم، وكما أنهم كادوني بغير إلهٍ ، وأغضبوني بغروراتِهم ، كذلك إني أكيدُهم ، لأن النار تتقدَّح من غضبي ، وتتوقَّد إلى أسفالِ الثَّرى ، فتأكلُ الأرضَ ونباتَها ، حتى تستطلعَ

---

(١) : سيأتي تحقيقها في القسم الأول هذا " الفتح الرباني " عقب هذه الرسالة . برقم (١٠) .

(٢) : في التوراة سفر التكوين الإصحاح الثاني .

أساساتِ الجبالِ ، كذلك أزيدُ عليهم شروراً ، وسهامي أفَرِّقُهَا فيهم " انتهى .

وفي الفصل الثاني عشرَ من السِّفر الثالث من التوراةِ ما لفظُه : " واحفظـوا رسـومي وأحكامي ؛ فإن جزاءَ من عمل بها ، أن يحيا الحياةَ الدائمةَ " انتهى . ولا حياةَ دائمـةً في الدنيا ، بل في الآخرةِ . وفي التوراةِ من النصوص على هذا المعنى كثيرٌ .

وفي الفصل السادس والعشرينَ من كتاب النبيِّ أشعيا ما لفظُـه : " يقـوم المـواتُ ، ويستيقظُ[ه] الذين في القبور " انتهى . وفي كتابه أيضاً ما لفظه : " مُزَكِّي الظالمِ لأجـلِ الرِّشا ، وزكاةُ الزكيِّ يزيلونَها عنه لذلك ، كما تأكلُ القشَّ لسانُ النار ، والهشـيمُ مـا يخليهِ اللهيبُ عناصِرَهم تكون كالبرق ، وفروعُهم تصعدُ كالغبارِ ، إن زهدوا في تـوراةِ ربِّ الجيوش ، وقولِ قُدُّوسِ العالَمِ رفضوا ، آية أن الهاوية موعودةٌ من أمس ، وهي أيضـاً أصلحتْ للملوكِ عمقَها ، فأوسعَها ناراً وحطَباً كثيراً ، وأمرَ الله كوادٍ من كبريت مشتعلٍ فيها ، وقال : ويحرقُون ينظرون إلى أجسام القومِ الذين كفروا بي ، إن دودَهم لا تمـوت ، ونارَهم لا تُطْفأ ، فيصيرون عِبْرَةً لباقي البشريينَ " . انتهى .

وقال أيضاً في كتابه المذكور في حقيقةِ تلذُّذ أهل الجنة : " لا عينٌ تقدرُ [أن][1] تـراهُ إلا علمُ الله تعالى " انتهى .

وفي الفصل الثاني عشرَ من كتاب دانيال ما لفظُه : " وكثيرٌ من الهـاجعينَ في تـراب الأرضِ يستقيظون : هؤلاءِ لحياةٍ أبدية ، وهؤلاء لتعييرٍ وخِزْيٍ أبديٍّ " انتهى .

وفي زبور النبيِّ داودَ - عليه السلام - في المزمور السادسِ منه ما لفظه : " وأنتَ يا ربِّ (فإلى متى تُوْعَدُ) يا ربِّ ، ونجِّ نفسي وخلِّصني من أجل رحمتك ، لأنه ليس في الموتى مـن ينكِرُكَ ، ولا في الجحيمِ من يعترفُ لك " . انتهى .

وفي المزمور التاسع منه ما لفظُه : " انتشبت الأمم في الفساد الذي عملُوه ، وفي الفَـخِّ الذي أخْفُوْهُ ، تعلّقتْ أرجلُهم ، يعرف الربُّ أنه صانعُ الأحكامِ ، والخاطئُ بعمل يديـهِ

---

(١) : زيادة يستلزمها السياق .

يؤخذُ ، يُرْفَعُ الخطاةُ إلى الجحيم " . انتهى .

وفي المزمورِ الخامسَ عشَرَ[1] منه : " فرحَ قلبي وهلَّل لساني ، وجسدي أيضاً يسكنُ على الرجاءِ ، لأنك لا تتركُ نفسي في الجحيمِ ، ولا تدعُ ضيفك أن يرى فساداً " . انتهى . وفي المزمور الرابعِ والخمسين[2] ما لفظُه : " ليأتِ الموتُ عليهم ، ولْيَنْحَدِرُوا إلى الجحيمِ أحياءً ، لأنَّ الشرورَ في مساكنهم وفي وسطِهم " انتهى .

وفي المزمور السابعِ والثمانينَ[3] ما لفظه : " يا ربِّ ، لأنَّ نفسي قد امتلأت شروراً ، وحياتي إلى الجحيمِ دَنَتْ ، حُسِبتُ مع المنحدرينَ في الجُبِّ ، صرتُ كإنسان فاقد المعونةِ بين الأمواتِ ، جرى كالمجرمينَ الراقدين في القبور ، الذين يذكرهم أيضاً ، وهم أُقصوا من يَدِكَ ، وضعوني في جُبٍّ أسفلَ السافلينَ في ظلماتٍ وظلالِ الموتِ " انتهى .

وفي وصايا النبيِّ سليمانَ – عليه السلام – في الفصلِ الخامس منها ما لفظه : " لأنَّ أرجُلَ العبادةِ ، تحذِّر الذين سيعلمونَها ، وتحطُّهم بعد الموت إلى الجحيمِ " انتهى .

وفي الإنجيل المسيحي في الفصل الخامسِ منه ، من الإنجيلِ الذي جمعه متَّى ما لفظه[٦]: " ومن قال لأخيهِ يا أحمقُ فقد وجبتْ عليه نارُ جهنَّم " انتهى . وفي هذا الفصل ما لفظُه : " إن شكَّكَتْكَ عينُك اليُمنى ، فاقْلَعْهَا ، وألْقِهَا عنكَ ، فإنه لَخَيْرٌ لك أن تُهْلِكَ أحدَ أعضائِك من أن تَهلِكَ جَسَدَكَ كلَّه في جهنم ، وإن شككتْكَ يدُك اليُمنى فاقطعْها وألْقِهَا عنك ، فإنه لخيرٌ لك أن يهلكَ أحدُ أعصابِك من أن يذهب جسدُك كلُّه في جهنم " انتهى .

وفي الفصلِ العاشِر منه ما لفظه : " لا تخافُوا ممن يقتلُ الجسدَ ولا يستطيعُ أن يقتُلَ النفسَ . خافوا ممن يقدرُ أن يهلكَ النفسَ والجسمَ جميعاً في جهنم " انتهى .

---

(١) : بل هو في المزمور السادس عشر .

(٢) : بل هو في المزمور الخامس والخمسين .

(٣) : بل هو في المزمور الثامن والثمانين .

وفي الفصـــل الثالث عشرَ منه : " إن الملائكةَ يجمعونَ كلَّ أهل الشكوكِ ، وفـــاعلي الإثم ، فَيُلْقُونَهم في أُتُوْنِ النار حيثُ البكاءُ وصريرُ الأسنان " . انتهى .

ومنه أيضاً ما لفظُه : " هكذا يكون في انقضاء هذا الزمان يخرجُ الملائكة ، ويغـــرزونَ الأشرارَ من وسط الأخيارِ ، ويلقونَهم في أتونِ النارِ ، هناك يكون البكاءُ وصريرُ الأسنان" انتهى . وفي الفصل الخامس والعشرينَ منه ما لفظُه : " حينئذ يقول الذين عن يســـارِه : اذهبوا عني يا ملاعينُ إلى النار المؤبدَّة المعدَّةِ لإبليسَ وجنوده " انتهى . وفيه أيضـــاً مـــا لفظُه: " فيذهبُ هؤلاءِ إلى العذابِ الدائم ، والصديقون إلى الحياةِ المؤبَّدة " انتهى .

وفي الفصل التاسع من الإنجيل الذي جمعَه مرقصٌ ما لفظُه : " فإن شـــككتْكَ يـــدُك فاقْطعْها ، فخير لك أن تدخلَ الحياة وأنت أعسمُ من أن يكون لك يـــدانِ وتذهـــب إلى جهنَّم في النار ، حيث دودُهم لا يموتُ ، ونارُهم لا تُطْفَـــأُ ، وإن شـــككتْك رِجْلُـــكَ فاقطعْها، فخيرٌ لك أن تدخُلَ الحياة أعرجَ من أن يكون لك رجلانِ وتُلْقَى في جـــهنَّم في النار ، حيث دودهم لا يموتُ ، ونارهم لا تُطْفَأُ " انتهى .

وفي الفصل الثاني عشرَ منه ، التصريح " بأن الزنادقةَ هم الذين يقولون : ليســـت تكـــون قيامةٌ " . انتهى . وفي الإنجيل الذي جمعه لُوْقَا في الفصل السادس عشرَ منه ما لفظُـــه : "ثم ماتَ أيضاً ذلك الغبيُّ وقُبِرَ فرفَعَ عينَه ، وهو يعذَّب في الجحيمِ " انتهى .

وفيه أيضاً ذكرُ الزنادقةِ ، وهم الذين يقولون : ليست قيامـــةٌ ، هكـــذا في الفصـــل العشرينَ منه .وفيه أيضاً ما لفظه : " فأما أنَّ الموتى يقومونَ فقد أنبـــأ بذلـــك موســـى " انتهى. وفي الفصل الثالث والعشرين منه : إن المسيحَ قال للمصلوبِ الذي آمن به : "إنـــك تكون معي في الفردوس " انتهى .

وفي الإنجيل الذي جمعَه يُوْحَنَّا في الفصل الخامس منه ما لفظُهُ : " فإنه ســـتأتي ســـاعةٌ يسمع فيها جميعُ من في القبورِ صوتَه ، فيخرجُ الذين عمِلُوا الحسناتِ إلى قيامةِ الحيـــاة ، والذين عملوا السيئاتِ إلى قيامةِ الدينونةِ " انتهى . وفي الفصل السادس عشرَ منه ما لفظُه: " يكون له الحياةُ المؤبَّدة ، وأنا أقيمُه في اليوم الآخرِ " .

وفي الفصل السابع عشر منه ما لفظه : " الحقُّ والحقَّ أقول لكم : إنه من يؤمنُ بحياةٍ دائمةٍ " انتهى .

إذا عرفت هذا المصرَّح به في الأناجيل ، فهكذا صرَّح الحواريونَ من أصحاب المسيح في رسائلهم المعروفةِ(١) .

والحاصل أن هذا أمرٌ اتفقتْ عليه الشرائعُ ، ونطقتْ به كتبُ الله - عز وجل - ، سابقُها ، ولاحقُها ، وتطابقت عليه الرسلُ : أوَّلهم وآخرُهم ، و لم يخالِف فيه أحدٌ منهم[٧] ، وهكذا اتفقَ على ذلك أتباعُ جميعِ الأنبياءِ من أهل المِلَلِ ، و لم يُسْمَعْ عن أحدٍ منهم ، أنه أنكر ذلك قطُّ . ولكنه ظهر رجلٌ من اليهود زنديقٌ ، يقال له موسى بن ميمونٍ اليهوديُّ(٢) الأندلسيُّ ، فوقع منه كلامٌ ، في إنكار المعادِ . واختلفَ كلامُه في ذلك، فتارة يثبتُه ، وتارة ينفيهِ ، ثم هذا الزنديقُ ، لم ينكر مطلقَ المعادِ ، إنما أنكر بعد تسليمِهِ للمعادِ أن يكون فيه لذَّاتٌ حسيَّةٌ جِسمانيةٌ ، بل لذَّاتٌ عقليةٌ روحانيةٌ ، ثم تلقَّى ذلك عنه من هو شبيةٌ به من أهل الإسلامِ كابن سينا ، فقلَّده ونقل عنه ما يفيدُ أنه لم يأتِ في الشرائعِ السابقةِ على الشريعةِ ....

---

(١) : انظر : "رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس " الإصحاح الخامس عشر العهد الجديد .

(٢) : موسى بن ميمون بن يوسف بن إسحاق ، أبو عمران القرطبي : طبيب فيلسوف يهودي . ولد وتعلم في قرطبة – ٥٢٩هـ – ٦٠١هـ = ١١٣٥-١٢٠٤م ، وتنقل مع أبيه في مدن الأندلس وتظاهر بالإسلام وقيل أكره عليه فحفظ القرآن وتفقه المالكية فدخل مصر فعاد إلى يهوديته وأقام في القاهرة عاماً كان فيها رئيساً روحياً لليهود كما كان طبيباً في تلك المدة في البلاط الأيوبي . ومات بها ودفن في طبريا (بفلسطين) .

له تصانيف كثيرة بالعربية والعبرية منها : دلالة الحائرين ثلاثة أجزاء بالعربية والحروف العبرية وهو كتاب فلسفته قال ابن العبري : سماه الدلالة وبعضهم يستجيده وبعضهم يذمه ويسميه الضلالة . وله الفصول – فصول القرطبي .

انظر : " الأعلام " للزركلي (٧/٣٢٩-٣٣٠) .

المحمدية[1] إثباتُ المعادِ ، وتقليداً لذلك اليهودي الملعون الزنديقِ ، مع أن اليهودَ قد أنكروا عليه هذه المقالةَ ، ولعنوه ، وسمُّوه كافراً .

قال في تاريخ النصراني في ترجمة موسى بن ميمون المذكورِ (أنه صنَّف رسالةً في إبطال المعاد الجسميِّ ، وأنكر عليه مقدَّموا اليهود ، فأخفاها إلا عمَّن يرى رأيَهُ قال : ورأيتُ جماعةً من يهودِ بلاد الإفرنج بأنطاكيةَ وطرابُلْسَ يلعنونه ، ويسمُّونه كافراً " . انتهى .

فهذه رواية نصرانيٍّ عن طائفة من اليهود ، وأنهم كفَّروا ابنَ ميمون ولعنوه بسبب هذه المقالة . على أن هذا الملعونَ الزنديقَ قد اعترف في كثير من كلامه بالمعاد فقال في تأليفه المسمَّى بالمشنا[2] في فقه اليهود : " إن هذا الموضوعَ الذي هو جنُّ عِيْذَا[3] هو موضوع خصيبة من كرة الأرض ، كثيرُ المياه والأثمارِ ، وسيكشفه الله للناس في المستقبل ، فيتنعمون به ، ولعلَّه يوجد فيه نباتٌ غريب جداً ، عظيمُ النفع ، كثيرُ اللَّذة غيرَ هذه المشهورةِ عندنا ، وهذا كلُّه غير ممتنعٍ ولا بعيدٍ ، بل قريبُ الإمكان بمشيئةِ الله تعالى " ، ثم اعترف بذلك اعترافاً آخرَ فقال في كتاب (اللغات) في حرف العين : " إن معنى هذا الاسمِ الذي هو "عيزا" التلذُّذ والتنعُّم ، ومنه سمِّيت لذَّاتُ الآخرة ، ونعيمُ أنفسِ الصالحينَ الكاملينَ (جنُّ عيزا) .

ثم قال في هذا الكتاب في تفسير (جن عيزا) : أي أن تلكَ هي جناتُ النعيم ، وفردوسُ السعادةِ ، وقد شرحوا معنى (جن عيزا) وماهيةَ التلذُّذ فيها رجالٌ من وصل

---

(١) : سيأتي التعليق عليها .

(٢) : قد سماه موسى بن ميمون في " دلالة الحائرين " (مشنة التوراة) (١/١٥) ويسميه البعض " تثنية التوراة" . انظر موسى بن ميمون (حياته ومصنفاته) للدكتور إسرائيل ولفنسون . مطبعة لجنة التأليف ١٩٣٦م .

(٣) : وقد صرح أيضاً باسم (جنة عدن) في كتابة دلالة الحائرين قال مخاطباً أحد تلاميذه (... كنت أيها التلميذ العزيز الربي يوسف بن الربي يهودا سكنت نفسه جنة عدن) (١/٧) .

إليها ، واستقرَّ في ظلِّ غروسها ، وشربَ عذوبة أنهارِها ، وأكل من لذيذ أثمارِها ، قـالوا : والصالحون باقونَ فيها ليستلِذُّوا من نور الله " ، قال : " وقال النـبي أشـعيا في حقيقـة التلذُّذ: لا عينٌ [تقدرُ تراهُ][1] إلا علمُ الله تعالى " . انتهى كلام موسى ابـن ميمـون المذكور .

ثم قال هذا اللعين في كتابه المسمى بالمشنا بعد اعترافه فيه كما حكيناه عنه هاهنا مـا لفظُه : " اعلم أنه كما لا يدري الأعمى الألوانَ ، ولا يدري الأصـمُّ الأصـواتَ ، ولا العِنِّينُ شهوة الجماعِ ؟ كذلك لا تدري الأجسامُ اللذاتِ النفسانيةَ . وكما لا يعلم الحوتُ اصطقصّ النار لكونه في حده ، كذلك لا يعلم في هذا العالم الجسماني بلـذاتِ العـالَمِ الروحاني ، بل ليس عندنا توجد لذةٌ غيرُ لذاتِ الأجسامِ ، وإدراكِ الحواسِّ مـن الطعـام والشرابِ والنكاح ، وما سمِّي غيرُ ذلك فهو عندنا غير موجود ، ولا نميزه ، ولا ندركُـهُ على بادئ الرأي إلا بعد تحذُّقٍ كثير .

وإنما وجب ذلك لكوننا في العالم الجسمانيِّ في لذَّاتٍ ، فلا نـدرك إلا لذَّتَـهُ ، فأمـا اللذَّاتُ النفسانيةُ فهي دائمة غيرُ منقطعةٍ ، وليس بينها وبين هذه اللذةِ نسبةٌ بوجـهٍ مـن الوجوه ، ولا يصحُّ لنا في الشرع ، ولا عند الإلهيينَ من الفلاسفةِ أن نقول : إن الملائكـة والكواكبَ والأفلاكَ ليس لها لذةٌ ، بل هي لذة عظيمةٌ جداً لما عقلوه من البـاري - عـز وجل - ، وهم بذلك في لذةٍ غير منقطعةٍ ، ولا لذةَ جسمانيةَ عندهم ، ولا يدركونَـها ؛ لأنه ليس لهم حواسٌّ مثلُنا يدركون بها ما ندرك نحن ، وكذلك نحن إذا تزكَّى منـا مـن تزكَّى ، وصار بتلك الدرجةِ بعد الموتِ ، لا يدركُ اللذاتِ الجسمانيةَ ، ولا يريدُها ، كما لا يريدُ الملكَ عظيمُ الملك ، أن ينخلعَ من مُلْكِه ليرجع يلعبُ بالكرةِ في الأسواقِ ، وقـد كان في زمان ما بلا محالة يفضِّل اللعب بتلك الكرةِ على المُلْكِ ، وذلك من حين صِغَـرِ سِنِّه عند جهلِه بالأمرين جميعاً . كما نفضل نحن اليوم اللذةَ الجسمانيةَ على النفسانيةِ .

---

[1] : صوابه اللغوي [تقدرُ أنْ تراه] .

وإذا ما بلغتْ أمرَ هاتين اللذتين نجد حساسةَ اللذة الواحدة ، ورِفْعَةَ الثانيةِ ، ولــــو في هذا العالمِ ، وذلك أن نجدَ أكثر الناس يُحَمِّلُونَ أنفسهم وأجسَامَهم من الشقاء والتعــبِ ، ما لا مزيدَ عليه ، كي ينالَ رفعةً أو يعظِّمهُ الناس ، وهذه اللذةُ ليســـت لــذة طعــامٍ أو شرابٍ، وكذلك كثيرٌ من الناس ، يؤثر الانتقامَ من عدوه على كثير من لذاتِ الجســـمِ ، وكثير من الناس يتجنَّبُ أعظمَ ما يكون من اللذات الجسمانيةِ ، خشيةَ أن ينالَه في ذلـــك جزاءٌ أو حشمةٌ من الناس .

فإذا كانت حالتنا في هذا العالم الجسمانيِّ هكذا ، فناهيكَ بالعالم النفسانيِّ ، وهو العالم المستقلُّ الذي تعقل أنفسُنا من الباري فيه مثلَ ما تعقلُ الأجرامُ العُلْوِيَّةُ ، أو أكثر ، فــــإن تلك اللذةَ ، لا تتجزأ ، ولا تتصفُ ، ولا يوجد مَثَلٌ تمثِّلُ تلك الَّلذَّةَ ، بل كما قال النــــبيُّ داودُ متعجِّباً من عظمتِه ، ما أكْثَرَ وما أجْزَلَ خيركَ الذي خبَّأتَـــهُ للصـــالحينَ الطـــائعينَ لأمركَ، وهكذا قال العلماء : العالم المستقبلُ ، ليس فيه لا أكلٌ ، ولا شربٌ ، ولا غُسْــلٌ ولا دُهْنٌ ولا نِكاحٌ ، بل الصالحونَ باقونَ فيه ، ويستلذُّون من نور الله تعالى ، يريــــدون بذلك أن تلك الأَنْفُسَ تستلذُّ بما تعقل من الباري بما تستلذُّ سائر طبقات الملائكةِ بما عقلُـوا من وجوده - سبحانه - .

فالسعادةُ والغايةُ القُصوى هي الوصولُ إلى هذا الملأ الأعلى . والحصولُ في هذا الحــدِّ . هو بقاءُ النفس كما وصفنا إلى ما لا نهايةَ له ، ببقاءِ الباري - جل اسمُهُ - ، وهذا هو الخيرُ العظيم الذي لا خيرَ يقاسُ به ، ولا لَذَّةَ يُمَثَّلُ بها ، وكيف [تُمَثَّلُ](١) الدائمَ بما لا نهايـــة له بالشيءِ المنقطعِ ؛ وهو قوله تعالى في نصِّ التوراة : " لكي يطيبَ لك في العالم الـــــذي كلُّه طيبٌ ، ويطيلُ أيامَكَ في العلم الذي كلُّه طائلٌ ، والشقاوةُ الكاملةُ هو انقطاعُ النفسِ وأن لا تحصُلَ باقيةٌ ، وهو القطعُ المذكور[٩] في التوراة كما بيِّن " . وقال : " انقطاعـــاً ينقطع من هذا العالم ، وينقطع من العالم المستقبَلِ .

---

(١) : كذا في المخطوط والفصيح (يُمَثِّلُ) بالياء التحتية .

فكلُّ من أخْلَدَ إلى اللّذَّاتِ الجسمانيةِ ، ونبذ الحقَّ ، وآثر الباطلَ انقطع من ذلك البقاء والعلوِّ ، وبقي مادةً منقطعةً فقطْ ، وقد قال النبيُّ أشعيا : " إن العالَمَ المستقبلَ ليس يُدْرَكُ بالحواسِّ . وهو قوله : لا عينٌ تقدرُ أن تراه " .

وأما الوعدُ والوعيدُ المذكور في التوراة في لذّاتِ هذا العالم فتأويلُه ما أصفُ لك ، وذلك أنه يقول لك : " إنِ امتثلتَ هذه الشرائعَ ، نعينُك على امتثالِها ، والكمالِ فيها ، ونقطعُ عنك العلائقَ كلَّها ، لأن الإنسان لا يمكنُه العبادةُ لا مريضٌ ، ولا جائع ، ولا عاطش ، ولا في فتنةٍ فوعدَ بزوال هذه كلِّها ، وإنهم يصحُون ، ويتذهنون حتى يكمُلَ لهم المعرفةُ ، ويلتحقون بالعالم المستقبلِ . فليس غايةُ التوراة إلا أن تخصِبَ الأرض ، وتطولَ الأعمارُ ، وتصحَّ الأجسامُ ، وإنما يُعَانُ على امتثالها بهذه الأشياء كلِّها ، وكذلك إن تَعَدَّوْا كان عقابُهم أن تحدُثَ عليهم تلك العوائقُ كلُّها ، حتى لا يمكن أن يعملُوا صالحةً . فإذا تأملت هذا التأمُّلَ العجيبَ ، تجدْه كأنه يقول : إن فعلتَ بعضَ هذه الشرائعَ بمحبَّةٍ وفرضٍ نعينُك عليها كلِّها ، بأن نزيلَ عنك العوائقَ والموانعَ ، وإن ضيَّعتَ منها بعضاً استخفافاً ، نجلبُ عليك موانعَ تمنعك من جميعها حتى لا يحصُلَ لك كلامٌ ولا بقاءٌ " انتهى .

فهذا خلاصةُ كلام ابن ميمونٍ اليهوديِّ زنديقِ اليهودِ في كتابه المذكورِ سابقاً ، وقد أوردنا لك كلامَهُ هاهنا ، لتعلمَ أنه لم يربطْه شيءٌ من كلام الله – سبحانه – يصلُح دليلاً عليه ، بل هو مجرد زندقةٍ ، والتوراةُ والزبور والإنجيلُ ، وكتبُ سائرِ الأنبياءِ مناديةٌ بخلاف ذلك ، حسبما قدمنا لك . وهانحن نوضح لك فسادَ كلامه هذا فنقولُ :

أولاً : إن حصر هذه اللذاتِ النفسانيةِ التي ذكرها ، لا ينافي حصولَ اللذاتِ الجسمانيةِ التي وردت في كتب الله – عز وجل – .

وقولُه : " وليست بلذةِ طعامٍ أو شراب " ، هذا مسلّم ، فإن اللذاتِ النفسانيةَ ليست بلذةِ طعامٍ ولا شراب ، ولكن من أين يلزمُ أنه لا لذَّةَ طعامٍ وشرابٍ ونحوِهما في تلك الدار الآخرة ؟ .

فإن كان بالشرع ، فكتُبُ الله – سبحانه – جميعُها ناطقةٌ بخلاف ذلك كما قدمنا ذلك

في كتب الله – عز وجل – المتقدمة ، وكما في القرآن العظيمِ مما يكثُر تعدادُه ، ويطول إيرادُه ، وهو لا يخفى مثلُه على أحدٍ من المسلمين الذين يقرؤون القرآن لبلوغه في الكثرة إلى غايةٍ يشتركُ في معرفتها المقصِّرُ والكامل .

وإن كان بالعقل فليسَ في العقلِ ما يقتضي إثباتَ اللذة النفسانيةِ ، ونفي اللذة الجسمانيةِ ، بل لا مدخلَ للعقل هاهنا ، ولا يُتَعَوَّلُ عليه أصلاً . وإن كان لا يعتبرُ عقلٌ ، ولا شرعٌ ، بل لمجرد الزندقةِ ، والمروقِ من الأديانِ كلِّها ، والمخالفةِ لما ورد في كتب الله – سبحانه – [١٠] فبطلانُ ذلك مستغنٍ عن البيان .

وأما قوله : " كما قال النبيُّ داود متعجِّباً من عظمتها : ما أكثرَ وما أجزلَ خَيْرَكَ الذي خبأته للصالحينَ الطائعينَ لأمرك ! " ، فهذا عجبٌ منه – عليه السلام – من كثرة خير الله – سبحانه – ، وجَزَالَةِ ما خبَّأه للصالحينَ[1] من عباده الطائعينَ لأمره في الدار الآخرة، وهو دليلٌ على الملعون لا له ؛ فإن كلامَه هذا هو ككلام سائرِ أنبياء الله في استعظامِ ما أعدَّه الله للصالحينَ من عباده ، كما قال نبينا ﷺ : " **في الجنةِ ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سمعتْ ، ولا خطَرَ على قلبِ بشرٍ** "[2] . ومثلُه في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[3] .

وأما قوله : " وهكذا العلماء : العالَمُ المستقبلُ ، ليس فيه لا أكلٌ ، ولا شربٌ إلى آخره " فيقال له : إن أردتَ علماءَ الملَّةِ اليهوديةِ ، فهم الذين لعنُوك وكفَّروك بسبب هذه

---

(١) : قال تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد : ١٥] .

وانظر الآيات : [البقرة : ٢٥] ، [الرعد : ٣٥] ، [إبراهيم : ٢٣] .

(٢) : أخرجه البخاري رقم (٨٤٩٨) ومسلم في صحيحه رقم (٢٨٢٤/٢) من حديث أبي هريرة .

(٣) : [السجدة : ١٧] .

المقالةِ كما قدَّمنا ، وهم جميعاً يخالفونَكَ ، ويثبتونَ المعادَ الجسمانيَّ ، واللذاتِ الجسمانيةَ ، ويكفِّرون من لم يثبتْها كما كفَّروك ويلعنُونه كما يلعنُوك . وإن أردت علماءَ الملَّة النصرانيةِ ، فهم متَّفقون بأسْرِهم على إثباتِ المعادِ الجسمانيِّ ، وإثباتِ اللذاتِ الجسمانيةِ والنفسانيةِ فيه ، وكيف يخالِفُ منهم مخالفٌ في ذلك ، والإنجيلُ مصرِّحٌ بهذا الإثبات تصريحاً ، لا يبقَى عنده ريبٌ لمرتاب ! . وإن أردت علماء الملَّة الإسلاميةِ فذلك كذبٌ بَحْتٌ ، وزورٌ محضٌ ، فإنهم مجْمِعُون على ذلك ، لا يخالفُ منهم فيه مخالفٌ . ونصوصُ القرآن من فاتحته إلى خاتمتهِ مصرِّحةٌ بإثبات المعادِ الجسمانيِّ ، وإثبات تنعُّمِ الأجسامِ فيه بالمطعمِ والمشربِ والمنكحِ وغيرِ ذلك ، أو تعذيبِها بما اشتملَ عليه القرآنُ من تلك الأنواعِ المذكورة فيه ، وهكذا النصوصُ النبويةُ المحمديةُ مصرِّحة بذلك تصريحاً يفهمُه كلُّ عاقل ، بحيث لو جُمِعَ ما ورد في ذلك منها لجاءَ مؤلَّفاً بسيطاً .

وأما استدلالُه بقوله في التوراة : " لكي يطيبَ لك في العالم الذي كلُّه طيب ، ويطيلُ أيامَكَ في العالم الذي كلُّه طائلٌ " فهذا دليل على الملعون ، فإن الخطابَ في الدنيا لمجموع الشخص الذي هو الجسمُ والروحُ . وظاهره أنه يكون له هذا على الصفة التي خوطِبَ وهو عليها ، وأنه يحصلُ له جميعُ ما يتلذَّذ به من اللَّذَّات الجسمانيةِ والنفسانيةِ ، ومنِ ادَّعى التخصيصَ ببعض الشخصِ ، أو ببعضِ اللذاتِ ، فهو يدعي خلاف الظاهر . ولكن المحرفَ المتزندقَ لا مقصدَ له إلا التلبيسُ على أهلِ الأديان . وكذلك قوله : " وقد قال النبيُّ أشعيا أنَّ العالم المستقبلَ ليس يُدْرَكُ بالحواسِّ ، وهو قوله : لا عينٌ تقدرُ أن تراهُ " . فإن هذا هو مثلُ ما قدمنا من كلام الأنبياءِ في استعظامِ ما عند الله لعباده الصالحينَ في الدار الآخرة . وبهذا تعرف أنه لم يكن في كلام هذا الملعون الزنديقِ ما يَتَمَسَّكُ به متمسِّكٌ ، أو يغترُّ به مغترٌّ [١١] ، بل هو خلافُ ما في كتب الله جميعاً كما قدمنا ، وخلافُ ما عند علماءِ المللِ ، بل خلافُ ما أقرَّه به في كلامه السابق إقراراً مكرراً .

فيا عجباً لمن يتمسك بمثل هذا الكلامِ الذي لم يجرِ على نمط ملَّةٍ من الملل ، ولا وافق نصَّاً من نصوص كتب الله – سبحانه – ، ولا نصَّاً من نصوص رسل الله جميعاً ! ،

ويجعلُه نفسَ ما وردت به التوراةُ والإنجيلُ ، ويجزمُ به ويحرِّره في كتبه مظهِراً أن الشريعةَ المحمديةَ جاءت بما لم يكن في الشرائع السابقةِ ، زاعماً أن ذلك دليلٌ على كمالِها ، مبطناً ما أبطنَه هذا الزنديقُ ابنُ ميمون اليهوديُّ ، كما فعل ذلك ابنُ سينا[1] ، وتبعَه ابن أبي الحديدِ[2] في شرح (النهج)[3] . بل جاوز ما قاله هذا إلى ما هو شرٌّ منه ، فقال : إن التوراةَ لم يأتِ فيها وعدٌ ووعيدٌ يتعلّق بما بعد الموتِ . وهذه فِرْيَةٌ على التوراة ، وجَحْدٌ لما فيها ، وتحريفٌ لما صرَّحت به في غيرِ موضعٍ كما قدمنا بعضَ ذلك . وكذلك زعم أن المسيح وإن صرَّح بالقيامة فقد جعل العذابَ روحانياً ، وكذلك الثوابُ . وهذا أيضاً كذبٌ محْضٌ . وقد قدمنا ما يفيدُك ذلك ، ويطلعك على كذبهما . والعجبُ أن ابنَ ميمون اليهوديَّ لم يتجاسَرْ على ما زعماهُ من أن التوراةَ لم يأتِ فيها وعدٌ ووعيدٌ يتعلَّق بما بعد الموت ، بل أثبت ذلك ، واستدلَّ عليه بالتوراة كما عرفت من كلامه السابق المتضمِّن لاعترافِهِ ، ولمخالفَتِه في إثباتِ اللذاتِ الجسمانيةِ . فإن قلت : قد جاء عن الصابئة ، وعن جماعة من المتعلقينَ بمذاهب الحكماءِ ما يوافقُ كلامَ ابن ميمون المذكور . قلتُ : لسنا بصددِ الرَّدِّ على كلِّ كافر ومتزندقٍ ، بل بصددِ الكلامِ على ما جاءت به رسلُ الله ،

---

(١) : هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا ، البلخي ، ثم البخاري يلقب بالشيخ الرئيس ، فيلسوف ، طبيب ، شاعر ولد سنة ٣٧٠هـ كان هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم العبيدي من القرامطة الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا بمعاد ولا رب ولا رسول . من تصانيفه الإشارات ، القانون في الطب وتقاسيم الحكمة .

انظر : شذرات الذهب (٣/٢٣٤) ، معجم المؤلفين (٤/٢٠) .

(٢) : هو عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين ابن أبي الحديد المدائني كان فقيهاً أصوليّاً وله في ذلك مصنفات معروفة مشهورة وكان متكلماً جدلياً ، اصطنع مذهب الاعتزال ولد بالمدائن في غرّة ذي الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة ، ونشأ بها ، نظم القصائد المعروفة بالعلويات السبع على طريقتهم ، وفيها غالي وتشيع . من مصنفاته ، الاعتبار ، شرح نهج البلاغة .

انظر : البداية والنهاية (١٣/٢١٣) وفوات الوفيات (٢/٢٥٩) والوافي في الوفيات (١٨/٧٦،٧٧) .

(٣) : لم أجد هذه العبارات في شرح النهج .

ونطقتْ به كتبُه ، واتفقتْ عليه المللُ المنتسبةُ إلى الأنبياء المقتدِيةُ بكتب الله ورسلِه دفعاً لما وقعَ من الكذبِ البحتِ ،والزور المحضِ ، ممن زعم المخالفةَ بينها وبين ما جاءت به الشريعةُ المحمدية ، فأوضحنا أن ذلك مخالفٌ للملَّة اليهوديةِ ، ولما جاءت به التوراةُ ، وما قاله علماء اليهود . ومخالفٌ لما جاءت به الملَّة النصرانيةُ ، ولما جاء به الإنجيلُ ، وما قاله علماء النصارى . ومخالفٌ أيضاً لما جاء به أنبياءُ بني إسرائيلَ ، وما نطقتْ به كتُبهم حسبَما قدمنا . ومخالفٌ لما كان من الأنبياء المتقدِّمين على بعثةِ موسَى كما يحكي ذلك ما تضمنتْه التوراة من حكاية أحوالِهم ، وما كانوا عليه ، وما كانوا يدينونَ به ، وكما يحكي ذلك عنهم القرآنُ الكريمُ ، فإن فيه ما يفيدُ ما كانوا عليه ، وما كانوا يدينونَ به ، وما قالوا لقومهم ، وما وعدوهم به من خير وشر ، [١٢] بل فيه ما يفيد ما كان عليه أهلُ الكتب المتأخِّرة من البعثةِ لموسى ، ومن بعدَه،وما كانوا يدينونَ به كقوله- سبحانه - حاكياً عن اليهود : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾(١) ، وقوله تعالى :﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾(٢) ، وقوله حاكياً عن موسى(٣) إلى فرعونَ : ﴿ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِنَّ ٱلْأَخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾(٤) ، وقوله : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ

---

(١) : [البقرة : ١١١] .

(٢) : [المائدة : ٧٢] .

(٣) : ليست عن موسى وإنما هي عن رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه كما في سورة غافر(٢٨-٣٢) .

(٤) : [غافر : ٣٩-٤٠] .

عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾[1] وقال : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[2] . ونصوصُ القرآن الحاكيةُ عن اليهود والنصارى ، وسائِر الملل مثلُ هذا كثيرةٌ جداً،ولا يتَّسع المقامُ لبسْطِها ،وقد بُعِثَ النبي -ﷺ- وأهلُ الملَّة اليهوديةِ والنصرانيةِ في أكثرِ بقاعِ الأرض ، وبلَّغهم ما حكاه القرآنُ عن أنبيائِهم من إثباتِ المعادِ ، وإثباتِ النعيم الجسمانيِّ والروحانيِّ و لم يُسْمَعْ عن أحد منهم أنه أنكر ذلك ، أو قال هو خلافُ ما في التوراةِ والإنجيل . وقد نزل أكثر القرآن على النبيِّ -ﷺ- في المدينة ، وكان اليهودُ متوافرينَ فيها وفيما حولَها من القرى المتَّصلةِ بها ، وكانوا يسمعون ما يترلُ من القرآنِ ، و لم يُسْمَعْ أن قائلاً منهم قال للنبيِّ - ﷺ - : إنك تحكي عن التوراةِ ما لم يكن فيها من البعثةِ ، وما أعده الله في الدار الآخرةِ من النعيمِ للمطيعينَ ، والعذابِ للعاصينَ ، وقد كانوا يودُّون أن يقدَحُوا في النبوَّةِ المحمَّديةِ بكل ممكنٍ . بل كانوا في بعض الحالات ينكرون وجودَ ما هو موجودٌ في التوراة كالرَّجمِ[3]،فكيف سكتُوا عن هذا الأمر العظيم ! وهل كانوا يعجزون أن يقولوا عند سماعِهم لقوله تعالى :﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ

(١): [آل عمران : ٥٥-٥٧] .

(٢): [الأعلى : ١٦-١٩] .

(٣): يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري رقم (٦٨٤١) ومسلم رقم (١٦٩٩/٢٦) من حديث ابن عمر أنَّه قال : إنَّ اليهود جاؤا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أنَّ رجلاً منهم وامرأةً زنيا ، فقال لهم رسول الله ﷺ : " **ما تجدون في التوراة في شأن الرجم** ؟ " فقالوا : نفضحهُمُ ويجلدون . قال عبد الله بن سلام : كذبتم إنَّ فيها الرَّجم فأتوا بالتوراة فنشروها ، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده فإذا فيها آية الرَّجم قالوا : صدق يا محمد فيها آية الرَّجم . فأمر هما رسول الله ﷺ فرجما ، فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة " .

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾[1] ، ما قلْنا هذا ولا نعتقدُه ، ولا جاءت به شريعة موسى ؟! .

وهكذا عند سماعهم لقوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾[2] . وقد كان أمرُ المعاد مشتهِراً في أهل الكتاب ، وكانوا يتحدثون به ، واستمر ذلك فيهم استمراراً ظاهراً ، وعَلِمَ به غيرُهم من أهل الأوثانِ لَمَّا كانوا يسمعون منهم . ومن ذلك ما أخرجه ابن إسحاق[3] قال : حدثنا صالح بن إبراهيم بنِ عبد الرحمن بنِ عوف عن محمود بنِ لبيدٍ[4] ، عن سلمةَ بنِ سلامةَ بنِ وقش قال : كان بين أبياتِنا يهوديٌّ ، فخرج على نادي قومِهِ[5] بني عبد الأشهلِ ذات غداةٍ ، فذكَر البعثَ والقيامةَ ، والجنةَ والنارَ [١٣] ، والحساب والميزانَ ، فقال ذلك لأصحاب وثنٍ لا يرون أن بَعْثاً كائنٌ بعد الموت . وذلك قبل مبعثِ رسول الله – ﷺ – ، فقالوا : ويحكَ يا فلانُ ، أو وَيْلَكَ ، وهذا كائن أن الناسَ يُبْعَثُوْنَ بعد موتهم إلى دار فيها جنةٌ ونار ، يجزون من أعمالهم ؟! . قال : نعم ، والذي يُحْلَفُ ، به لوددت أن حظي من تلك النارِ أن توقِدوا أعظمَ تنُّورٍ في داركم ، فتحمونه ، ثم تقذفوني فيه ، ثم تطيِّنُون عليَّ ، وأني أنجو من تلك النارِ غداً . فقيل : يا فلانُ ، فما علامةُ ذلك ؟ فقال : نبيٌّ يبعثُ من ناحية هذه البلادِ ، وأشار إلى مكةَ واليمنِ بيده ، قالوا : فمتى نراهُ ؟ فرمى بِطَرَفِهِ فرآني وأنا مضطجعٌ بفناء باب أهلي ، وأنا أحدث القومَ ، فقال : إن يستنفذ هذا الغلامُ عمرَه يُدْرِكْهُ ... إلى آخر الحديث[6] .

---

(١) : [البقرة : ٨٠] .

(٢) : [البقرة : ١١١] .

(٣) : في السيرة النبوية (١/٢٧٠-٢٧٢) .

(٤) : في السيرة زيادة [أخي بني عبد الأشهل] .

(٥) : عبارة الشوكاني تشعر بأن هذا اليهودي من بني عبد الأشهل نسباً وصوابه كما في السيرة (١/٢٧١) : " فخرج علينا من بيته ، حتى وقف على بني عبد الأشهل ، قال سلمة : وأنا يومئذ من أحدث من فيه سناً ... " .

(٦) : أخرجه أحمد في مسنده (٣/٤٦٧) والبخاري في التاريخ الكبير (٢/٢/٦٨) وأبو نعيم دلائل =

وأهل الكتاب إلى عصرنا هذا يقرون بالمعاد ، والجنة والنار ، والحساب والعقاب ، والنعيم والثواب ، ولا ينكر ذلك منهم منكر ، ولا يخالف فيه مخالف .

وإذا قيل لهم : قد قال قائل : إنكم لا تثبتون ذلك ، أنكروا أشد الإنكار . فمن روى عنهم ما يخالف ذلك ، فقد افترى ، وجاء بما ترده الأحياء منهم والأموات ، وبما تبطله الرسل المرسلة إليهم ، والكتب النازلة عليهم ، حسبما قد حكينا لك في هذا المختصر .

= النبوة (١/ ٧٤ - ٧٥) والبيهقي في الدلائل أيضا (٢/٧٨-٧٩) والطبراني في الكبير (٧/٤١-٤٢ رقم ٦٣٢٧) والحاكم (٣/٤١٧-٤١٨) وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه وسكت عنه الذهبي .

وأورده الهيثمي في المجمع (٨/٢٣٠) وقال : رجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع .

والخلاصة أن الحديث صحيح والله أعلم .

الفصل الثالث

في إثبات النبوات

[١- تمهيد] :

اعلم أن الأنبياء - عليهم السلام - على كثرة عددهم ، واختلافِ أعمارِهم ، وتبايُنِ أنسابِهم ، وتباعُدِ مساكنِهم ، قد اتَّفقوا جميعاً على الدعاء إلى الله - عز وجل - ، وصار الآخر منهم يقرُّ بنبوة مَنْ تقدمه ، وبصحَّة ما جاء به . وإذا خالفه في تحليل بعض ما حرَّمه الله على لسان الأول ، أو تحريمِ ما أحلَّه الله له ولأُمَّتهِ فهو مقرٌّ بأن الحكمَ الأول تحليلاً أو تحريماً هو حقٌّ ، وهو حكم الله - عز وجل - ، وأنه الذي تعبَّد اللهُ به أهلُ تلك الملَّة السابقة ، واختاره لهم ، كما اختار للملَّة اللاحقةِ ما يخالفُه . والكلُّ من عند الله - عز وجل - ، وذلك جائز عقلاً وشرعاً في ملَّة واحدة ، فضلاً عن الملل المختلفةِ .

وما روي في بعض كتب أصول الفقهِ من أن اليهودَ ينكرون النسخَ ، فتلك روايةَ غيرُ صحيحةٍ ، وقد نسبها مَنْ نسبها إلى طائفة[1] قليلة منهم ، وما أظنُّه يصحُّ عنهم ذلك ؛ فإن التوراةَ مصرِّحةٌ بنسْخِ كثير من الأحكامِ التي نعبَّدهم الله بها ، تارةً تخفيفاً ، وتارةً تغليظاً ، وتارةً إيجاباً ، وتارةً تحريماً .

وبالجملة فلا شكَّ ولا ريبَ أن الأنبياء متفقون على تصديق بعضِهم بعضاً ، وأن ما جاء به كل واحد منهم فهو من عند الله - عز وجل - [١٤] وقد عرَّفناك فيما سبق أن

---

(١) : قال صاحب الكواكب (٥٣٣/٣) .

يجوز النسخ عقلاً باتِّفاق أهل الشرائع سوى الشمعونية – ينتسبون إلى شمعون بن يعقوب .

وكذلك يجوز النسخ سمعاً باتفاق أهل الشرائع سوى العنانية من اليهود فإنهم يجوزنه عقلاً لا سمعاً .

العنانية : فرقة من اليهود ينتسبون إلى عنان بن داود وهم يخالفون اليهود في سائر السبت والأعياد وينهون عن أكل الطير والظباء والسمك والجراد ... " .

الإرشاد (ص١٨٥) . نهاية السول (١٦٧/٢) . الملل والنحل (٣١٥/١) .

عددَهم بلغ إلى مائة[1] ألفٍ وأربعةٍ وعشرينَ ألفاً . ولا خلافَ بين أهل النظر أن اتفاقَ مثلِ هذا العدد يفيدُ العلمَ الضروريَّ بصدق ما اتفقوا عليه ، بل اتفاقُ عشر هذا العدد بل اتفاقُ عُشْرِ عُشْرِه يفيد ذلك . ومن ينكرُ في هذا الاتفاقِ فعليه بمطالعةِ التوراة ؛ فإنها قد اشتملتْ على حكاية حال الأنبياء من لدنْ آدمَ إلى بعْثَةِ موسَى ، وفيها التصريح بتصديق بعضهم بعضاً ، ولم يقعْ من واحد منهم الإنكارُ لنبوَّة أحدٍ ممن تقدَّمه . ثم جاء من بعد موسى وهارونَ أنبياءُ بني إسرائيلَ ، وكل واحد منهم يقرُّ بمن تقدَّمه ، ويثبت نبوَّته ، كما اشتمل على ذلك كتبُ نبواتِهم ، وكثيرٌ منهم كان يجاهد من يعبدُ الأصنامَ من بني إسرائيلَ وغيرِهم . وقد وقعتْ لهم قصص وحروب مع من كان يعبدُ الصنمَ المعروفَ (ببعلْ) الذي ذكره الله - سبحانه - في القرآن[2] . وكذلك كان لهم قصصٌ وحروب مع من كان يعبد غيرَه من الأصنام . وهكذا داودُ وسليمانُ ، وهما من أنبياء بني إسرائيل ، وممن يدينُ بالتوراة ، مازالا في حرب مع عُبَّادِ الأصنام كما يحكي ذلك الزبورُ ، وكتابُ داود ، وكما تحكيهِ وصايا سليمانَ ، وهي كتاب مستقلٌّ .

وهكذا الإنجيلُ ؛ فإن المسيحَ - عليه السلام - كان يحتجُّ على المخالفينَ له من اليهود بنصِّ التوراة في غالب فصولهِ المشتمِلَةِ على حكايةِ المسائلِ التي أنكرها عليه اليهود . ومع هذا فلم يقعِ اختلافٌ بينهم قطُّ في الدعاء إلى توحيدِ الله ، وإثبات المعاد ، وصحة نبوة كلِّ واحد منهم وصدقِهِ ، فيما جاء به من الشرع ، وفيما حكاه عن الله - سبحانه - .

وهذه هي الثلاثةُ المقاصدِ التي جمعنا هذا المختصرَ لتقرير اتفاقهم عليها ، وإثباتِهم لها ، وكثيراً ما كان يقع التبشيرُ من السابق منهم باللاحق ، كما هو مصرَّح به في التوراة من تبشير موسَى بيوشعَ بن نونٍ ، وكما هو مصرَّحٌ به في الزبورِ من تبشير داودَ بعيسَى ، وهو الرابعُ عَشَرَ من أولاده ، فإن بين داودَ والمسيحِ أربعةَ عَشَرَ أباً . وقيل أكثرُ من

---

(١) : تقدم تخريجه (ص٤٨٤) **وهو حديث ضعيف** .

(٢) : قال تعالى : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [الصافات : ١٢٥] .

ذلك ، حسبما يحكيه ما وقع في بعض نُسَخِ الإنجيل ، وكما وقع من يحيى بن زكريا المسمَّى عندهم يوحَنَّا ، فإنه بشَّرَ بالمسيح مع اتصال عصرِه بعصره ، فإنَّ يحيى بنَ زكريا إنما قُتِلَ بعد أن بعث الله المسيحَ كما يحكى ذلك الإنجيلُ .

[٢- تبشيرُ التوراة بمحمد - ﷺ - :]

والكلامِ في تبشير بعض الأنبياءِ ببعض يطولُ ، وها نحن نذكر لك هاهنا ما وقع من التبشير بنبينا محمد - ﷺ - ممن تقدَّمه من الأنبياء ،حتى يتَّضحَ لك أن هذه سنّة الله — عز وجل — في أنبيائه — عليهم السلام — .

فمن ذلك ما ثبتَ في التوراة في الفصل السابعِ عشرَ من السِّفر الأولِ منها : " قال الله سبحانه لإبراهيمَ ، وقد سمعتُ قولك في إسماعيلَ ، وها أنا مباركٌ فيه ، وأثمرهُ ، وأكثرهُ بمَأْذَ مَأْذ "(١) انتهى قوله : " بمأذ مأذ "(١) هو اسم محمد بالعبرانيةِ ، وهذا صريحٌ في البشارة بنبينا محمد — ﷺ - .[١٥]

وفي الفصل الثالثِ(٢) والثلاثينَ من السِّفر(٣) الخامسِ من التوراة ، ما لفظه : " يا الله الذي تجلَّى نوره من طور سينا ، وأشرق نوره من جبل سيعير ، ولوَّح به من جبل فارانَ ، وأتى ربوةَ القدسِ بشريعةِ نور من يمينه لهم " انتهى .

هذا نصُّ التوراة المعرَّبة تعريباً صحيحاً ، وقد حكى هذا اللفظَ من نقل عن التوراة بمخالفة لما هنا بسيرةٍ : " هكذا جاء الله من طور سيناءَ ، وأشرق من (ساعيرَ) واستعلن من جبال فارانَ ، وفي لفظ : " تجلَّى الله من طور سيناء إلخ " .

قال جماعة من العلماء : إن معنى تجلَّى نور الله — سبحانه — من طور سيناء ، أو مجيئُهُ

---

(١) : لا توجد هذه الكلمة في العهد القديم ويوجد بدلها " كثيراً جداً " .

(٢) : انظر العهد القديم (ص٢٣٤) . ط : القاهرة .

(٣) : أي سفر التثنية وقد تقدم .

من طور سيناء ، هو إنزالُه التوراةَ على موسى بطور سيناءَ ، ومعنى إشـــراقِهِ مـــن جبـــل (سيعيرَ) ، إنزالُه الإنجيلَ على المسيح ، وكان المسيح من (سيعير) ، أو (ساعير)[1] ، وهـــي أرض الخليلِ من قريةِ منها تدعي (ناصرة) وباسمها سُمّي اتباعَهُ نصارى ، ومعنى لوَّح بـــه من جبل فارانَ[2] ، أو استعلنَ من جبل فارانَ ، إنزالُه القرآنَ علـــى محمـــد - ﷺ - . وجبـــالُ فاران هي جبال مكةَ بلا خلاف بين المسلمين ، وأهل الكتاب . ومما يؤيد هـــذا ما في التـــوراة في السفر[3] الأول منها ما لفظُه : " وغدا إبراهيمُ فـــأخذ الغـــلامَ يعـــني إسماعيـــلَ ، وأخذ خُبْزاً وسِقَاءً من ماء ، ودفَعَه إلى هاجرَ ، وحملَه عليها ، وقـــال لهـــا : اذهبي ، فانطلقـــتْ هاجـــرُ ، فظلّت سبعاً ، ونفذ الماءُ الذي كان معـــها ، فطرحـــتِ الغـــلامَ تحتَ شجرة ، وجلست مقابلتَه على مقدار رميةِ سهم ، لئلا تبصرَ الغلامَ حـــين يموت ، ورفعـــت صوتَها بالبكاء ، وسمع الله صوتَ الغلام ، فدعا ملكُ اللهِ هاجرَ وقـــال لها : مالكِ يا هـــاجرُ لا تخشـــي ، فإن الله قد سمع صوتَ الغلام حيث هـــو ، فقومـــي فاحملي الغلامَ ، وشـــدِّي يديكِ به ، فإني جاعلُه لأُمَّةٍ عظيمة ، وفتح الله عينيها فبصـــرتْ بئر ماءٍ ، فسقتِ الغلامَ ، وملأتْ سِقَاها ، وكان الله مع الغلام فربي وســـكن في بريـــة فاران " انتهى .

ولا خلاف أن إسماعيلَ سكن أرض مكة فعلم أنها فارانُ ، وقد حكى الله - ســـبحانه - في القرآن الكريم ما يفيد هذا ، فقال حاكياً عـــــن إبراهيـــمَ : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[4] .

---

(١) : في التوراة اسم لجبال فلسطين وهو من حدود الروم وهو قرية من الناصرة بين طبرية وعكا . معجم البلدان (١٧١/٣) .

(٢) : كلمة عبرانية معربة : وهو اسم لجبال مكة . انظر معجم البلدان (٢٢٥/٤) .

(٣) : أي سفر التكوين . الإصحاح الحادي والعشرون . انظر العهد القديم (٢٩) .

(٤) : [إبراهيم : ٣٧] .

ولا خلافَ في أن المراد بهذا الوادي أرضُ مكةَ ، وفي الأحاديث الصحيحة[1] الحاكية لقصة إبراهيمَ مع هاجرَ وولدِها إسماعيلَ ما يفيدُ هذا ويوضِّحُهُ .

ومما يؤيد هذه البشارةَ ، المذكور في التوراةِ البشارةُ المذكورةُ في كتاب نبوة النبيِّ شمعون[2] ولفظُه : " جاء الله من جبال فارانَ ، وامتلأتِ السماوات والأرض من تسبيحه، وتسبيح أُمَّتِهِ " .

ومثل ذلك البشارةُ المذكورةُ في نبوة النبي حبقوق[3] ولفظُه : " جاء الله من التيمنِ[4]، وظهرِ القدُسِ على جبال فارانَ ، وامتلأتِ الأرض من تحميد أحمدَ ، وملكَ يمينُه رفاتَ الأمم ، وأنارتِ الأرض لنوره ، وحُمِلَتْ خيلُه في البحر "[5] انتهى .

وفي هذا التصريح بجبالِ فارانَ مع التصريح باسم نبينا محمدٍ - ﷺ - [١٦] بقوله : وامتلأت الأرض من تحميد أحمدَ تصريح لا يبقى بعده ريبٌ لمرتاب .

ومن البشارات بنبينا – محمد ﷺ - في الزبور[6] لداودَ – عليه السلام – ما لفظه :

---

(١) : انظر : فتح الباري (٣٨٦/٦-٣٩٥) .
البداية والنهاية (١٥٠/١-١٥٥) .

(٢) : ونص الترجمة الحالية : " الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبل فاران ، سِلاه جلاله غطى السماوات والأرض ، امتلأت من تسبيحه . وكان لمعان كالنور له من يده شعاع . وهناك استتار قدرته " .
سفر حبقوق ، الإصحاح الثالث ، العهد القديم ١٠٤٦ .

(٣) : اسم عبري معناه (يعانق) أو ربما اسم نبات حديقة وهو نبي في يهوذا ويستفاد من المزمور المنسوب إليه أنه كان من سبط لاوي وأنه أحد المفتين في الهيكل وهو عند أهل الكتاب ثامن الأنبياء الصغار الذين ظهروا في مملكة يهوذا .
قاموس الكتاب المقدس (ص٢٨٧-٢٨٨) .

(٤) : اسم عبري معناه اليمنين أو الجنوبي أو الصحراء الجنوبية .
قاموس الكتاب المقدس (ص٢٨٨) .

(٥) : سفر حبقوق الإصحاح الثالث .

(٦) : نص الترجمة الحالية : " رنموا للرب ، باركوا اسمه ، بشروا من يوم إلى يوم بخلاصة ، حدثوا بين الأمم بمجده ، بين جميع الشعوب بعجائبه ، لأن الرب عظيم وحميد جداً " . =

" إن ربَّنا عظيم ، محمود جداً ، ومحمدٌ قد عم الأرضَ كلَّها فرحاً " انتهى .

ففي هذا التصريح باسمه – ﷺ – .

ومن ذلك قوله فيه " باركَ عليك إلى الأبد . ويُقَلّدُ أبونا الجبّارُ السيفَ ، لأن البهاء لوجهك ، والحمدَ الغالبَ عليك ، أُرْكِبَ كلمةَ الحقِّ ، وسَمْتَ التألُّه ، فإن ناموسَك وشرائعَك معروفةٌ بهيبة يمينك ، وسهامَك مسنونةٌ ، والأممُ يَخِرُّوْنَ تحتَك "[1] انتهى . وهذه صفاتُ نبينا – ﷺ – فإنه لم يُبْعَثْ نبيٌّ هذه صفتُهُ بعد داودَ سواهُ . ومثل هذا قولُه في موضع آخرَ : " ويجوزُ من البحر إلى البحرِ ، ومن لدنِ الأنهارِ إلى منقطَعِ الأرضِ ، وتَخْذَى أهلُ الجزائر بين يديه ، ويلحسُ أعداؤه الترابَ ، ويسجدُ له ملوكُ الفرسِ ، وتدينُ له الأممُ بالطاعةِ والانقيادِ ، ويخلِّصُ البائسَ المضطهدَ ممن هو أقوى منه ، وينقذُ الضعيفَ الذي لا ناصرَ له ، ويرأفَ بالمساكين والضعفاءِ ، ويُصلِّي عليه ويُبَارَكُ في كل حين "[2] انتهى . وهذه الصفات أيضاً ليست لأحد من الأنبياء غيرِه . فإنه لم يملكْ أحدٌ

= سفر المزامير ، المزمور السادس والتسعون العهد القديم ٧٠٤ .

(١) : نص الترجمة الحالية : " فاض قلبي بكلام صالح ، متكلم أنا بإنشائي للملك لساني قلم كاتب ماهر ، أنت أبرع جمالاً من بني البشر ، انسكبت النعمة على شفتيك ، لذلك باركك الله إلى الأبد ، تقلد سيفك على فخذك – أيها الجبار – جلالك وبهاءك ، وبجلالك اقتحم ، أركب من أجل الحق والدعة والبر ، فتريك عينيك مخاوف ، نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك ، شعوب تحتك يسقطون " .

سفر المزامير ، المزمور الخامس والأربعين العهد القديم ٦٧٢ .

(٢) : نص الترجمة الحالية : " ويملك من البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب ، ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدُمَه . ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية ويسجد له كل الملوك . كان كل الأمم تتعبد له لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين ، إذ لا معين له ، يشفق على المسكين والبأس ويخلص أنفس الفقر من الظلم والخطف ، يفدي أنفسهم ويكرم دمهم في عينيه ، ويعيش ويعطيه من ذهب شبا يصلي لأجله دائماً اليوم كله يباركه " .

سفر المزامير ، المزمور الثاني والسبعون . العهد القديم ٦٨٨ .

وقوله من البحر إلى البحر : لمحمد ﷺ وأمته حاز من البحر الرومي إلى البحر الفارسي ومن لدن =

منهم من البحر إلى البحر ، ومن لدنِ الأنهار إلى منقطع الأرضِ ، كما ذلك معلومٌ لكل أحد ، بل الذي انتشرتْ شريعتُه ،وبلغتْ سيوف أُمَّتِهِ إلى هذا المقدارِ هو نبينا - ﷺ - .

وهكذا قوله : ويسجدُ له ملوكُ الفرس ، فإنه لم يفتحِ الفرسَ ، ويستعبدْ أهلَها ، ويضربْ عليهم الجزيةَ إلا أمةُ نبينا - ﷺ - . وهكذا قوله : " وتدينُ له الأمم بالطاعة والانقيادِ " فإنها لم تَدُنِ الأممُ كلُّها لغيره . وهكذا قوله : " ويُصَلِّي عليه ويبارك[1] في كل حين " ؛ فإن هذا يختصُّ بنبينا - ﷺ - لاستمرار ذلك له في كل وقت ، ووقوعِ الأمرِ القرآني به ، ولم يكن ذلك لغيره من الأنبياء . ومن البشاراتِ ، ما ذكره أشعيا[2] في كتاب نبوتهِ من التبشير براكبِ الحمارِ ، وراكب الجمل . ولا شك أن راكبَ الحمارِ ، هو المسيحُ ، وراكبَ الجمل هو نبيُّنا - ﷺ - .

وفي نبوة أشعيا أيضاً قوله : " إني جعلتُ أمرَكَ يا محمدُ ، يا قُدُّوْسَ الربِّ اسمكَ موجودٌ من الأبد "[3] . انتهى .

= الأنهار سيحون وجيحون إلى منقطع الأرض بالمغرب .

- والجزائر : أهل جزيرة العرب الجزيرة بين الفرات ودجلة ، جزيرة قبرص وأهل جزيرة الأندلس .
- قال ﷺ : " **زويت لي الأرض ، مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زُوي لي منها** " .

أخرجه ابن ماجة في السنن رقم (٤٠٠٠) من حديث ثوبان . وله ألفاظ عند مسلم رقم (٢٨٨٩) وأبو داود رقم (٤٢٥٢) والترمذي في السنن رقم (٢١٧٦) **وهو حديث صحيح** .

(١) : وقوله : " يصلِّي عليه ويبارك في كل حين " : في كل صلاة والصلوات الخمس وغيرها اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد ......" .

(٢): نص الترجمة الحالية : لأنه هكذا قال لي السيد : اذهب أقم الحارس ليخبر بما يرى ، فرأى ركاباً أزواجاً من الفرسان . ركاب حمير ، ركاب جمال فأصغي إصغاءً شديداً ، ثم صرخ كأسد : أيها السيد أنا قائم على المرصد دائماً في النهار ، وأنا واقف على المحرس كل الليالي ، وهوذا ركاب من الرجال ، أزواج من الفرسان فأجاب وقال : سقطت بابل ، وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة ، كسرها إلى الأرض ".

سفر أشعياء ، الإصحاح الحادي والعشرون العهد القديم ٨٠١ .

- وبمحمد ﷺ سقطت أصنام بابل .

(٣) : لم أقف عليه .

وهذا تصريح باسم نبينا - ﷺ - على وجه ينفي كلَّ شك ويقطـــعُ كـــلَّ ريبـــةٍ ، وكذلك قوله في موضع آخرَ(١) من كتاب نبوته حاكياً عن الله سبحانه أشكرُ حبيبي أحمـدَ فإن هذا التصريح باسم نبينا — ﷺ - . ومثل هذا قولُ حبقوق(٢) النبيِّ في كتاب نبوتـه : " أضاءتِ السماءُ من بهاء محمدٍ ، وامتلأتِ الأرضُ من شعاع منظره "(٣) وكذا قولـــه في موضع آخرَ(٤) من كتاب نبوته : " وتنـــزعُ في مَشْيِك إعراقاً ونزعاً ، وترتوي الســـهامُ بأمرك يا محمدُ ارتواءً - فإن هذا تصريحٌ أوضحُ من الشمس ومـــن البشـــارات قـــول حزقيال(٥) النبي في كتاب نبوته مهدداً لليهود : - وأن الله يظهرهم عليكم ، وباعثٌ فيـهم نبياً ، وينـــزلُ عليهم كتاباً ، ويملِّكُهم رقابَكم ، فَيَقْـــهَرُونَكم ، ....

---

(١) : لم أقف عليه .

- وإنما قال أشعياء " إنما سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد " .

سفر أشعياء . الإصحاح السادس والستون العهد القديم ٨٤٦ .

(٢) : انظر : سفر حبقوق الإصحاح الثالث العهد القديم (١٠٤٦) .

- أشعيا بن آموص ، ومعنى اسمه (الرب يخلص) ويعتبره النصارى من أعظم أنبياء العهد القديم ويلقبونه (بالنبي الإنجيلي) لكثرة نبواته عن المسيح ويغلب على ظن المؤرخين بأن أشعياء قد مات مقتـــولاً في اضطهاد الملك منسي الإسرائيلي .

وينسب إلى أشعياء سفر باسمه عدد إصحاحاته (٦٦) إصحاحاً ويعتبر ضمن أسفار الأنبياء المتأخرين .

قاموس الكتاب المقدس ص٨١-٨٥ .

(٣) : وتمامه : مثل النور يحوط بلاده بعزة تسير المنايا أمامه ، وتصحب سباع الطير أجناده ، قـــام فمســـح الأرض فتضعضعت له الجبال القديمة وانخفضت الروابي ، وتزعزعت ستور أهل مدين " .

(٤) : انظر : سفر حبقوق الإصحاح الثالث ، والعهد القديم ١٠٤٦ .

(٥) : حزيقال : معناه (الله يقوي) وهو ابن بوزي من عشيرة كهنوتيه ويعتبرونه أحد الأنبياء الكبار وقـــد نشأ في فلسطين زمن النبي أرميا ثم حمل مسبياً مع ملك يهوذا (يهوياكين) إلى أرض بابل أثنـــاء الغـــزو البابلي . ولا يعرف وقت ومكان موته .

ينسب إليه (سفر حزقيال) عدد إصحاحاته (٤٨) إصحاحاً .

القاموس (الكتاب المقدس) (٣٠١-٣٠٤) .

ويُذِلُّونكم[1] بالحقِّ [١٧] ، ويخرجُ رجالٌ (بني قيذار)[2] في جماعات الشعوبِ ، معهم ملائكةٌ على خيل بيضٍ "[3] انتهى .

ففي هذا التصريح ببعثة نبيِّنا - ﷺ - ، وقهرِ أُمَّتِهِ للأمم ، فإنَّ (قيدار) هو ابن اسماعيلَ بنِ إبراهيمَ بلا خلاف ، و لم يبعث الله فيهم نبياً إلا نبيَّنا محمداً - ﷺ - ، وهذا معلوم لكل أحد ، لا يخالف فيه مخالفٌ ، ولا ينكره منكرٌ .

ومن البشارات ما في كتاب نبوة دانيال النبيِّ ، فإنه صرَّح فيها باسم النبي - ﷺ - بمثل ما تقدم في نبوة حبقوق فقال : " ستترعُ في مشيك إعراقاً ، وترتوي السهام بأمرك يا محمدُ ارتواءً "[4] انتهى .

وفي موضع آخر من كتابه هذا التصريحُ ببعثة نبيِّنا - ﷺ - فقال بعد ذكر التبشير بالمسيح ما لفظه : " حتى أبعثَ نبيَّ بني إسماعيلَ الذي بشرتْ به هاجر ، وأرسَلْتُ إليها ملائكةً فبشَّروها ، فأوحي إلى ذلك النبيِّ وأعلِّمُهُ السماءَ ، وأَزْيُنُهُ بالتقوى ، وأجعلُ البِرَّ شعارَه ، والتقوى ضميرَهُ ، والصدقَ قولَه ، والوفاء طبيعتَه ، والقصدَ سيرتَه ، والرُّشْدَ سُنَّتَهُ ، بكتاب مصدِّقٍ لما بين يديه من الكتبِ ، وناسخٍ لبعض ما فيها ، أُسري به إليَّ ، وأرقيهِ من سماءٍ إلى سماءٍ حتى يعلُو ، فأدنيهِ ، وأسلِّم عليه ، وأوحي إليه ، ثم أردُّه إلى

(١) : في المخطوط مكرر قوله : " ويملكهم رقابكم فيقهرونكم ويذلونكم " .

(٢) : رجال بني قيدار هم ربيعة ومضر أبناء عدنان وهما جميعاً من ولد قيدار بن اسماعيل والعرب كلهم من بني عدنان وبني قحطان ، فعدنان – أبو ربيعة – ومضر وأنمار من ولد إسماعيل باتفاق الناس وأما قحطان فقيل : هم من ولد إسماعيل ......" .

البداية والنهاية (١٥٦/٢) واللباب في معرفة الأنساب (٢٢٢/٣) .

(٣) : انظر : سفر حزقيال الإصحاح العشرين والعهد القديم ٩٤٩ .

(٤) : النص الذي وجدته : " كنت أرى في رؤى الليل ، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام ، فقربوه قدامه ، فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً ، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي مالن يزول ، وملكوته مالا ينقرض " .

سفر دانيال . الإصحاح السابع ، العهد القديم ١٠٠٠ .

عبادي بالسرورِ والغبطةِ حافظاً لما استُوْدِعَ ، صادعاً بما أُمِرَ ، يدعو إلى توحيدي بـــاللين من القول ، والموعظة الحسنة ، لافظٌّ ولا غليظٌّ ، ولا صخَّابٌ في الأسواق ، رؤوف بمـــن والاهُ ، رحيمٌ بمن آمن به حتى على من عاداهُ "[١] . انتهى . ولا ريبَ أن هذه صفاتُ نبينا - ﷺ - ، وأنه لم يَبْعَثِ اللهُ نبياً من بني إسماعيل سواهُ . ومثل هذه الصفـــات ، مـــا في حديث عبد الله بن عمرو وعند البخاري[٢] وغيرِه أنه قيل له : أخبِرْنا ببعض صفةِ رســـول الله - ﷺ - في التوراة قال (إنه لموصوفٌ في التوراة[٣] ببعض صفته في القرآن[٤]:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[٥] وحِرْزاً للأميينَ . أنـــت عبـــدي ورسولي، سميَّتُكَ المتوكلَ ، لست بفظٍّ ولا غليظٍ ، ولا صخَّاب بالأسواق ، ولا يجـــزي بالسيئةَ ، ولكن يجزي بالسيئة الحسنةَ ، ويعفو ويغفرُ ، ولن أقبضَه حتى أقيـــمَ بـــه الملَّـــة العوجاءَ ، فأفتحُ به أعيناً عمياءَ ، وآذاناً صُمَّاً ، وقلوباً غُلْفَاً ، بأن يقولوا لا إله إلا الله) .

قيل : قد يراد بلفظ التوراة جنسُ الكتب المتقدمةِ من التوراة والزبورِ والإنجيلِ ، وسائرِ كتب أنبياء بني إسرائيلَ . فعلى هذا ، يكون المراد بقول عبد الله بـــن عمـــرو : " إنـــه لموصوف في التوراة " هذه الصفاتُ المذكورةُ في نبوة دانيال . ولا مانعَ من أن تكون هـــذه الصفاتُ كانت موجودةً في التوراة فحذفتْها اليهود ، فما ذلك بأول تحريفٍ وتبديل وتغييرٍ

---

(١) : انظر : سفر دانيال الإصحاح التاسع بكامله ، والعهد القديم (١٠٠٣-١٠٠٤) .

● ودانيال : معناه (الله قضى) عاش في فترة السبي البابلي ، ونال مكانة عالية عند نبوخذ نصر بعـــد أن فسر له دانيال حلماً قد أزعجه وتوفي في عهد الملك كورش ملك الفرس وينسب إليه سفر باسمه عـــدد إصحاحاته (١٢) إصحاحاً ويحتوي على تاريخ بني إسرائيل في فترة السبي وعلى تنبؤات مستقبلة . قاموس الكتاب المقدس (٣٥٧-٣٦٠) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢١٢٥) و (٤٨٣٨) .

(٣) : لفظ التوراة يقصدون به جنس الكتب التي عند أهلَ الكتاب ولا يخصون بذلك كتاب موسى .

(٤) : انظر : سفر أشعياء الإصحاح الثاني والأربعون (١/٢٠) والعهد القديم (٨٢٢) .

(٥) : [الأحزاب : ٤٥] .

منهم .

[تبشير الإنجيل بمحمد - ﷺ - :]

ومن البشارات به في الإنجيل ، ما في الفصل الخامس عشرَ من الإنجيل الذي جمعه يوحنَّا (أن الفارَ قليطُ روح الحقِّ الذي يرسله الله هو [يعلم][1] كلَّ شيء)[2] . انتهى . وفي موضع آخرَ منه : (والفارُ قليطُ روح القدس الذي يرسله [١٨] الله هو [يعلَمُ][1] كلَّ شيء وهو يذكِّركم ما قلتُ لكم) . وفي موضع آخر منه : (إذا جاء الفارُ قليطُ الذي أرسله الله روحَ الحقِّ الذي هو يشهدُ لي ، قلت لكم هذا ، حتى إذا كان يؤمنون به ، ولا يشكون فيه)[3] . وفي الفصل السادس عشرَ منه : (لكني أقولُ لكم الحقَّ : إنه خير لكم أن أنطلق ، لأني إن لم أنطلْق لم يأتِكم الفار قليطُ ، فإذا انطلقت أرسلتُه إليكم فهو يوبِّخُ العالم على الخطيئةِ ، وعلى البرِّ ، وعلى الحكمِ . أما على الخطيئةِ فلأنهم لم يؤمنوا بي ، وأما على البر فإني منطلقٌ ولستم تروني ، وأما على الحكم فإن رئيسُ هذا العالم يدان ، وأن لي كلاماً كثيراً لستُم تطيقون كلَّه الآن . لكن إذا جاء روحُ الحق ذاك ، فهو يرشدكم إلى جميع الحقِّ ، لأنه ليس ينطقُ من عنده ، بل يتكلَّم بما يسمع ، ويخبرُكم بكلِّ ما يأتي) انتهى .

وقد تكرر ذكر (الفار قليط)[5] في الإنجيل ، وأنذرَ به المسيحُ وبشَّر به قومَه في غير موضع منه . وقد اختلفوا في المراد ، (فالفار قليط) في لغتهم على أقوالٍ . وذهب الأكثر

---

(١) : كذا في المخطوط وصوابه . (يعلمكم) .

(٢) : إنجيل يوحنا (٢٦/١٤) .

(٣) : يوحنا (٢٦/١٥) .

(٤) : إنجيل يوحنا (١٦/٧-١٦) .

(٥) : الفار قليط : هو محمد رسول الله ﷺ الذي أرسله الله بعد المسيح .

من النصارى إنه المخلِّصُ[1] ، وقالوا هو مشتقٌ من (فاروق)[2] أو من (فارق) قـالوا : ومعنى (ليط)[2] كلمةٌ تزاد كما يقال في العربية : رجل هو ، وحَجَرٌ هو ، وعالم هـو ، وجاهل هو .

وقد تقرر أنه لا نبيَّ بعد المسيح غيرُ نبيِّنا - ﷺ - . وهذه البشارات قد تضمنت أنـه سيأتي بعد المسيح نبيٌّ يخلِّصُ تلك الأُمم مما هم فيه ، ويوبِّخهم على الخطيَّةِ ، ويتكلم بمـا يسمعُ ، ويخبر بكلِّ ما يأتي ، ولم يكن هذا لأحد بعد المسيحِ غيرَ نبيِّنا - ﷺ - .

ومما يدل على أن المراد بالفارقليط هو نبيُّنا - ﷺ - أنه وقع الحذفُ بهذا اللفظ مـن بعض نسخ الإنجيلِ مع ثبوته في غالبِها . وليس ذلك إلا تغييراً وتبديلاً من النصارى ، لمـا يعلمونه من أن المراد بهذا اللفظِ هو التبشيرُ بنبيٍّ يأتي بعد المسيح :

---

(١) : انظر : تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/٧٠٢)

وقيل : إنه (الحماد) وقيل (الحامد) وقيل : (المعز) ، و أكثر النصارى على أنه المخلّص .

● " إن الطبعات الحديثة للأناجيل لا توجد فيه لفظة (فارقليط) وأبدلت بألفاظ أخرى مثل (المُعـزي ، المحامي ، المعين ، المخلّص ، الوكيل ، الشافع) علماً بأن كلمة (الفـارقليط) كـانت موجـودة في الترجمة العربية للأناجيل المطبوعة في لندن سنة ١٨٢١م ، ١٨٣١م ، ١٨٤٤م ، وقد وقفـت علـى مخطوطة لترجمة التوراة والزبور والإنجيل في إسطنبول بمكتبة عاطف أفندي تحت رقم (٧) وفيها ذكرت لفظة (الفارقليط) .

ومعلوم لدينا أن اليهود والنصارى يسعون إلى إخفاء البشارات بالنبي ﷺ من كتبهم المقدمة لديـهم أو تحريف معناها وذلك مما أخبرنا الله عز وجل عنـهم فقـال تعـالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [البقـرة : ١٤٦] .

فما معنى كلمة (فارقليط) التي اختلف النصارى في معناها ؟ إن (فارقليط) معربـة مـن كلمـة (بيركليتوس) اليونانية (perialytos) التي تعني اسم : أحمد صيغة المبالغة من الحمد " اهـ.

حاشية . " تخجيل من حرف التوراة والإنجيل " (٢/٧٠٣) .

(٢) : قال ابن القيم في " هداية الحيارى " ص٥٦ : وهو بالسريانية فاروق وقالوا معنى (ليط) في السـريانية أيضاً .

وأنها ستقوم عليهم بذلك الحجةُ فحذفوا هذا اللفظَ لهذه العلَّة[1] .

وقد حكى الله – سبحانه – في القرآن العظيم أن المسيح بشَّر بنبينا محمد – ﷺ – فقال : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[2] .

وفي الإنجيل أيضاً الذي جمعه يوحنّا أن المسيح قال : " أركون العالم سيأتي ، وليس لي شيء "[3] . وهذا اللفظ فيه أعظم بشارة بنبيِّنا محمد – ﷺ – ؛ فإن الأركونَ في لغة النصارى العظيمُ القدْرِ . ولم يأت بعد المسيح من هو بهذه الصفة إلا نبيُّنا – ﷺ – ؛ فإنه جعله أركونَ العالم ، وقال عن نفسه : ليس له من الأمر[4] شيءٌ ، فدلَّ هذا على أنه سيأتي بعده عظيمٌ من عظماء العالم يكون منه الإصدار والإيرادُ ، والحلُّ والعقدُ في الدين ، وإثباتُ الشرائع ، وأن المسيح بالنسبة إليه كمن ليس له شيء .

وهذا إنما يكون تبشيراً بمن هو أعظمُ من المبشِّر به[19] ، أعني المسيحَ – عليه السلام– ، ولا يصح حملُه على رجل عظيمِ القدْرِ في الدنيا ، أو في الملك ، أو غير ذلك ، لأن الأنبياء لا يبشِّرون بمن هو كذلك ، ويجعلونه أركونَ العالم ، ويجعلون الأمرَ إليه ، وينفون الأمرَ عن أنفسِهم ، فإن هذا لا يكون أبداً من الأنبياء ، ولا يصح نسبتُه إليهم ، ولا صدورُه منهم قطُّ ، بلا خوف بين أهل الملل .

ولا يمكن أن يدعيَ مدَّعٍ أنه جاء بعد المسيح من هو بهذه الصفةِ غيرُ نبيِّنا – ﷺ – ؛ فإنَّ الحواريين إنما دانوا بدينه ، ودعَوا الناسَ إلى شريعته ، ولم يستقلَّ أحد منهم بشيء من جهة نفسِه قطُّ . ومن جاء بعدهم من أتباع المسيح فهو دونَهم بمراحلَ .

---

(١) : انظر التعليقة السابقة .

(٢) : [الصف : ٦] .

(٣) : ورد النص في إنجيل يوحنا (١٤/٣٠) " لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء " .

(٤) : قال ابن قيم الجوزية في " هداية الحيارى " (ص٦٥) : تضمنت هذه البشارة أصليَّ الدين : إثبات التوحيد ، وإثبات النبوة ... " .

[٤- إشارة القرآن والسنة إلى بشارات الكتب السابقة]

وقد حكى الله - سبحانه - في القرآن الكريم ما تتضمنه الكتبُ المنزلةُ ، والرسلُ المرسلةُ ، من التبشير بنبينا محمد - ﷺ - ، ما يغني عن جميع ما ذكرناه من نصوص تلك الكتب ، وإنما أردنا بالنقل منها إلزامَ الحُجَّةِ ، وتكميلَ الفائدةِ لمن كان في قلبه ريبٌ ، وفي صدره حرجٌ .

فمن ذلك قوله - سبحانه - : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ﴾[1] ، وقال - عز وجل - : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[3] ، وقال سبحانه : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[4] ، وقال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[5] ، وقال سبحانه : ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾[6] ، وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ

---

(١) : [الأعراف : ١٥٧] .

(٢) : [البقرة : ١٤٦] .

(٣) : [البقرة : ١٤٤] .

(٤) : [البقرة : ٨٩] .

(٥) : [الأنعام : ١١٤] .

(٦) : [الرعد : ٤٣] .

إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾[1] .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾[3] ، وقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[4] . وقال سبحانه : ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾[5] . وهذا بعض ما اشتمل عليه الكتاب العزيز ، وفي الأحاديث ما يؤيده ذلك ويؤكِّده .

فمن ذلك ما رواه ابن إسحاق[6] قال : حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمةَ ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوسِ والخزرجِ برسول الله - ﷺ - قبل بعثته ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء بن معرور ، وداود بن سلم : يا معشر اليهود[٢٠] اتقوا الله وأسلِموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد - ﷺ - ونحنُ أهلُ الشركِ ، وتخبرونا بأنه مبعوثٌ ، وتصفونَه بصفته ، فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير:

---

(١) : [الشعراء : ١٩٧] .

(٢) : [المائدة : ٨٣] .

(٣) : [الإسراء : ١٠٧-١٠٩] .

(٤) : [القصص : ٥٢-٥٣] .

(٥) : [يونس : ٩٤] .

(٦) : كما في السيرة النبوية (٢/٢٢٤) .

ما جـــاءنا بشـــيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكره لكم . فأنزل الله – عز وجـــل – : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[1] .

وروى ابن إسحاق[2] نحو هذه القصةِ التي هي سبب نزول هذه الآية مـــن طـــرق ، ومنها : أنه قال : حدثني صالح بن إبراهيمَ بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيـــد ، حدثنا يحي بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة الأنصاري قال : حدثـــني مـــن شئت من رجال قومي عن حسانَ بن ثابت الأنصاري قال : " والله إني لغلام يَفَعَةٌ ابـــن سبع سنينَ أو ثماني سنينَ أعقل كل ما سمعت ، إذ سمعتُ يهودياً يقول على أطمٍ[3] يـثربَ، فصرخ : يا معشر اليهود ، فلما اجتمعوا عليه ، قالوا : مالك وتلك ؟ قال : طلـــع نجـــم أحمدَ الذي يُبْعَثُ الليلةَ " .

ومن ذلك ، ما كان من خروج زيد بن عمرو بن نفيل ، وسؤالهِ لأهـــل الكتـــاب ، وإخبارِهم عن أن نبينا يبعث في العرب ، فرجع ، وأدرك النبيَّ – ﷺ – قبل أن يبعـــث ، ومات قبل البعثةِ . وهذا الحديث في البخاري[4] وغيره .

وأخرج البيهقي[5] بإسناد صحيح من حديث أنس بن مالك أن غلاماً يهودياً ، كـــان يخدم النبيَّ – ﷺ – فمرض ، فأتاه النبيُّ – ﷺ – يعوده ، فوجد أباه عند رأســـه يقـــرأ التوراة . فقال له رسول الله – ﷺ – : يا يهودي ! أنشدك بالله الذي أنزل التوراةَ علـــى موسى ، هل تجد في التوراة صفتي ؟ ومخرجي ؟ قال : لا . قال الفتى : بلى والله يا رســـول

---

(١) : [البقرة : ٨٩] .

(٢) : كما في " السيرة " لابن هشام (١٦٨/١) .

(٣) : الأُطُم : القصر ، وكل حصن مبني بالحجارة ، وكل بيت مربع مسطح . وجمعـــه آطـــام ، وأطـــوم . "القاموس المحيط " ص١٣٩٠ .

(٤) : في صحيحه رقم (٣٨٢٧) .

(٥) : في " دلائل النبـــوة " (٢٧٢/٦) وأطرافـــه [٥١ ، ٢٦٨١ ، ٢٨٠٤ ، ٢٩٤١ ، ٢٩٧٨ ، ٣١٧٤ ، ٤٥٥٣ ، ٥٩٨٠ ، ٦٢٦٠ ، ٧١٩٦ ، ٧٥٤١] .

الله ، إنا نجد في التوراة نعتَك ومخرجَك ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله .

فقال - ﷺ - : " **أقيموا هذا من عند رأسه ولوا أخاكم** " .

وثبت في البخاري[1] ومسلم[2] وغيرِهما من حديث ابن عباس ، عن أبي سفيان بن حرب لما سأله هرقلُ ملكُ الروم عن صفات رسول الله - ﷺ - فأخبره ، فقال : " إن يكنْ ما تقوله حقاً إنه نبيٌّ ، وقد كنت أعلم أنه خارجٌ ، و لم أكن أظنُّه منكم ، ولو أعلم أني أخلص إليه لأحسنتُ لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلتُ عن قدميهِ " .

وفي البخاري[3] حكايةٌ عن هرقلَ هذا : " إنه كان حزَّاءً ينظر في النجوم ، فنظر فقال: إن ملك الختانِ قد ظهر ، فمن يختتنُ من هذه الأمة ؟ قالوا : يختتنُ اليهود ، فلا يَصُمُّك شأنُهم ، وابعث إلى من كان في مملكتك من اليهود فيقتلوهم ، ثم وجد إنساناً من العرب فقال : انظروا أمختتنٌ هو ؟ فنظروا فإذا هو مختتن ، وسأله عن العرب فقال يَختتِنونَ" .

وفيه[4] أيضاً : وكان (برومية) صاحبٌ لهرقلَ . كان هرقلُ نظيرَه في العلم ، فأرسل إليه وسار إلى حمصَ ، فلم يَرِمْ حمص حتى أتى كتابٌ من صاحبه يوافق رأيه على خروج النبي - ﷺ - .

ومن هذا ، ما ثبت في كتب السِّيرِ[5] والحديث من إسلام النجاشيِّ وتصديقه بالنبي - ﷺ - [٢١] وهو في الحبشة لم يشاهدِ النبيَّ - ﷺ - ، وإنما وصل إليه بعضُ أصحابِه وسمع ما تلوه عليه من القرآن ، فآمن وصدَّق .

---

(١) : في صحيحه رقم (٧) .

(٢) : في صحيحه رقم (١٧٧٣) .

(٣) : في صحيحه رقم (٧) .

(٤) : أي صحيح البخاري رقم (٧) .

(٥) : انظر : " السيرة النبوية " (١/٤١٤-٤١٨) .

وثبت في الصحيح[1] أن ورقةَ بنَ نوفلٍ الذي دار في طلب الدين ، وسأل طوائف أهل الكتاب ، لما أخبره رسول الله - ﷺ - بما رأى من نزول جبريلَ عليه في غار حراءَ ، وما قال له ، فقال ورقة : هذا الناموسُ الذي أنزل الله على موسى ، ليتني كنت جَذَعَاً أدركُ إذ يخرجُك قومُك ، فقال النبي - ﷺ - : " **أو مخرجيَّ هم ؟!** " فقال ورقة : لم يأت أحدٌ بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصُرْكَ نصراً مؤزَّراً ، ثم لم ينشبْ ورقةُ أن تُوُفِّيَ .

ومن هذا ما رواه ابن إسحاق[2] ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادةَ عن شيخ من بني قريظة قال : " هل تدري عما كان إسلام أسيدٍ وثعلبةَ ابني سعيةَ ، وأسدُ بنُ عبيدٍ نفرٌ من هذيل لم يكونوا من بني قريظةَ ،ولا النضير . كانوا فوق ذلك . فقلت : لا . قال: فإنه قدم علينا رجلٌ من الشام من يهود يقال له : ابن الهيبانِ ، فأقام عندنا ، والله ما رأينا رجلاً قطُّ لا يصلِّي الخمس خيراً منه ، فقدم علينا قبل مبعث النبيِّ - ﷺ - بسنينَ ، وكنا إذا قحطنا ، أو قلَّ علينا المطرُ نقول : يا ابن الهيبانِ ، اخرجْ فاستقِ لنا ، فيقول : لا والله حتى تقدِّموا أمام مَخْرَجِكم صدقةً ، فنقول : كم ؟ فيقول : صاعٌ من تمر ، أو مُدَّيْنِ من شعيرٍ ، فنخرجه . ثم يخرج إلى ظاهر حَرَّتنا ونحن معه فيستقي ، فوالله ما نقومُ من مجلسهِ حتى تمرَّ السحاب .

وقد فعل ذلك غيرَ مرَّة ، ولا مرتينِ ، ولا ثلاثةٍ ، فحضرته الوفاةُ ، فاجتمعنا إليه فقال: يا معشر يهود ! ما ترونه أخرجني من أرض الخمرِ والخميرِ إلى أرضِ البؤسِ والجوع؟ قالوا : أنت أعلم . قال : فإنه إنما أخرجني أتوقعُ خروجَ نبيٍّ قد أظلَّ زمانُه . هذه البلاد مُهَاجَرُهُ فاتبعوه ، ولا تُسبَقَنَّ إليه إذا خرج ، يا معشر يهود ، فإنه يبعث

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣) ومسلم في صحيحه رقم (١٦٠) من حديث عائشة .

(٢) : كما في " السيرة النبوية " (٣/٢٧٢-٢٧٣) .

قلت : وأخرجه أبو نعيم في " الدلائل " (١/٢٣-٢٤) والبيهقي في " الدلائل " (٢/٨٠-٨١) بسند منقطع لجهالة الشيخ من بني قريظة . **وهو حديث ضعيف** .

بسفك الدماءِ ، وسبي الذراري والنساء ، ممن يخالفُه ، فلا يمنعُكم ذلك منه . ثم مـــات . فلما كان الليلةَ التي فتحت فيها قريظةُ قال أولئك الثلاثة الفتيةِ ، وكانوا شبَّاناً أحداثاً : يا معشر يهود ! والله إنه الذي ذكر لكم ابنُ الهيبان . فقالوا : ما هو به . قـــالوا : بلـــى . والله إنه بصفته ، ثم نزلوا فأسلموا وخلُّوا أموالَهم وأولادَهم وأهاليهم ، فلما فُتِحَ الحصـــنُ رُدَّ ذلك عليهم .

وأخرج البخاري في تاريخه[1] ، والبيهقي في " دلائل النبوة "[2] عن محمد بن عمرَ بـــن إبراهيمَ بنِ محمد بن جبير بنِ مطعمٍ عن أبيه قال : سمعت أبي جبير يقول : لمـــا بعـــثَ الله نبيَّه، وظهر أمْرُهُ بمكةَ خرجتُ إلى الشام ، فلما كنت ببِصْرىَ أتتني جماعةٌ من النصـــارى فقالوا لي : أَمِنَ الحرمِ أنت ؟ قلت : نعم ، قالوا : تعرف هذا الذي تنبَّأ فيكم ؟ قلـــت : نعم ، قال : فأخذوا بيدي ، فأدخلوني ديراً لهم فيه تماثيلُ[٢٢] وصورٌ . قالوا لي : انظـــر هل ترى صورة هذا الذي بُعثَ فيكم ؟ فنظرتُ فلم أر صورتَه . قلت : لا أرى صورتَـه . فأدخلوني ديراً أكبر من ذلك الديرِ فيه صورٌ أكثرُ مما في ذلك الدَّيْرِ ، فقالوا لي : انظـــر هل ترى صورتَه ؟ فنظرت ، فإذا أنا بصفة رسول الله ـ ﷺ ـ وصورتِه ، وإذا أنه بصفــة أبي بكر وصورتِه وهو آخذ بعقبِ رسول الله ـ ﷺ ـ . فقالوا لي : انظـــر هـــل تـــرى صورتَه؟ قلت : نعم . قالوا : هو هذا [٢٣] وأشاروا إلى صفة رســـول الله ـ ﷺ ـ ، قلت : اللهم نعم أشهد أنه هو . قالوا : أتعرفُ هذا الذي أخذ بعقبه ؟ قلـــت : نعـــم . قالوا: تشهد أن هذا هو صاحبُكم ، وأن هذا الخليفةَ من بعده .

وقريب من هذه القصة[3] ما رواه موسى بن عقبةَ بن هشام بنِ العاص ، ونعيمُ بن عبد الله ، ورجل آخر قد سمَّاه ، بُعِثُوا إلى ملك الروم زمنَ أبي بكر قال : فدخلنا على جبْلَةَ بن

---

(١) : (١/١/١٧٩) .

(٢) : (١/٣٨٤-٣٨٥) .

(٣) : انظر " دلائل النبوة " للبيهقي (٦/٣٨٦) .

الأيهمِ وهو بالغوطةِ ... فذكر الحديث . وأنه انطلق بهم إلى الملكِ ، وأنهم وجدوا عنده شِبْهَ الرَّبعةِ العظيمةِ مذهبةً ، وإذا فيها أبواب صغارٌ ففتحَ باباً ، فاستخرجَ منه حريرةً ، وفيها صورة نوحٍ ، ثم إبراهيمَ ، ثم أراهم حريرةً فيها صورةُ محمد - ﷺ - وقال : هذا آخر الأبواب ، ولكني عجَّلْتُه لأنظرَ ما عندكم .

وأمثال هذا كثيرة جداً يطولُ المقام ببسط بعضِها ، فضلاً عن كلِّها ، وفي القرآن الكريم من دلائلِ إثبات النبواتِ على العموم ، وإثباتِ نبوةِ نبينا - ﷺ - على الخصوص ما لا يخفى على من يعرف القرآنَ ، ويفهم كلام العرب ، فإنه مصرِّح بثبوت نبوة جميعِ الأنبياءِ من لدنْ آدمَ إلى محمد - ﷺ - ، وفيه ذكر كل واحد منهم بصفته ، وإلى من أُرْسِلَ ، وفي أي زمانٍ كان ، مع تقديم المتقدم ، وتأخير المتأخِّر ، وذكر ما وقع لكل واحد منهم من إجابةِ قومِه له ، وامتناعهم عليه ، وردِّهم لما جاء به ، وما وقع بينه وبينَهم من المقاولة والمحاولة والمقاتلةِ .

ومن نظر في التوراة وما اشتملت عليه من حكاية حال الأنبياء من لدن آدم إلى موسى، وجد القرآنَ موافقاً لما فيها غَيْرَ مخالفٍ لها .

وهكذا ما اشتملت عليه التوراةُ ، مما اتفق لموسى وبني إسرائيل في مصرَ مع فرعونَ ، وما كان من تلك الحوادثِ من الآياتِ البيناتِ التي جاء بها ، ومن تلك العقوباتِ التي عُوقبَ بها فرعونُ وقومُه ، ثم ما كان من بني إسرائيل مع موسى من بعد خروجهم من مصرَ إلى عندِ موتِ موسى ، مع طول تلك المدةِ ، وكثرةِ تلك الحوادث .

فإن القرآن حكَى ذلك كما هو ، وذكره بصفته من غير مخالفة ، ثم ما كان من الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى إلى عند قيام المسيح . فإن القرآن الكريم حكَى قِصصَهم ، وما جرى لهم ، وما قالوه لقومهم ، وما قاله قومهم لهم ، وما وقع بينهم من الحوادث ، وكان ما حكاه القرآن موافقاً لما في كتب نبوة أولئك الأنبياء من غير مخالفة .

ثم هكذا ما حكاه القرآن عن نبوةِ المسيحِ ، وما جرى له وأحوالَه ، وحوادثَه ، فإنه موافق لما اشتمل عليه الإنجيلُ من غير مخالفة .

ومعلومٌ لكل عاقل يعرفُ أحوالَ نبينا - ﷺ - أنه كان أمياً لا يقـــرأ ولا يكتـــب ، وكان منذُ وُلِدَ إلى أن بعثه الله — عز وجل — بين قومه ، وهم قومٌ مشركون ، لا يعرفون شيئاً من أحوالِ الأنبياءِ ، ولا يَدْرُوْنَ بشيء من الشرائع ، ولا يخالطون أحداً [٢٤] مـــن اليهود والنصارى ، ولا يعرفون شيئاً من شرائعهم ، وإن عرفوا فرداً منها ، فليس ذلك إلا في مثل ما هو متقرِّر بينهم يعملون به في عباداتِهم ومعاملاتهم باعتبار ما يشتهر عنـــهم في ذلك ، كما يبلغُ بعضَ أنواع العالم عن البعض الآخرِ . فإنه قد يبلغهم بعضُ ما يتمسَّكون به في دينهم باعتبار اشتهار ذلك عنهم .

وأما العلمُ بأحوال الأنبياء ، وما جاءوا به ، وإلى من بعثهم الله ، وما قالوا لقومـــهم ، وما أجابوهم به ، وما جرى بينهم من الحوادث كلّياتِها وجزئياتِها ، وفي أي عصر كـــان كل واحد منهم ، وإلى من بعثه الله ، وكونُ هذا النبيِّ كان متقدماً على هـــذا ، وهـــذا متأخراً عن هذا ، مع كثرة عددهم ، وطول مُدَدِهم ، واختلافِ أنواع قومهم واختـــلافِ ألسنتهم وتبايُنِ لغاتِهم ، فهذا أمر لا يحيط بعلمِه إلا اللهُ - عز وجل - .

ولولا اشتمال التوراة على حكاية أحوال مَنْ قبلَ موسى من الأنبياء لانقطعَ علمُ ذلـك عن البشر ، ولم يبقَ لأحد منهم طريقٌ إليه البتَّةْ ، فلما جاءنا هذا النـــبيُّ العـــربي الأمـــيُّ المبعوث من بين طائفةٍ مشركةٍ تعبد الأوثان ، وتكفر بجميع الأديان ، قد دبَّـــروا دنيـــاهم بأمور جاهلية ، تلقَّاها الآخَرُ عن الأول ، وسمعها اللاحقُ من السابق ، لا يرجع شيء منها إلى ملَّةٍ ، من الملل الدينيةِ ، ولا إلى كتاب من الكتب المنَزَّلةِ ، ولا إلى رســـول الأنبيـــاء المرسلةِ ، بل غايةُ علمهم ، ونهاية ما لديهم ما يجري بين أسلافِهم من المقاولة والمقاتلـــة ، وما يحفظونه من شعر شعرائِهم ، وخُطَبِ خطبائِهم ، وبلاغاتِ بلغائهم ، وجودِ أجوادِهم وإقدامِ أهل الجرأةِ والجسارةِ منهم ، لا يلتفتون مع ذلك إلى دين ، ولا يقبلُون على شـــيء من أعمال الآخرة ، ولا يشتغلون بأمر من الأمور التي يشتغل بها أهلُ الملل ، فإن رامـــوا مطلباً من مطالب الدنيا ، ورغبوا في أمر من أمورها ، قصدوا أصنامهم ، وطلبوا حصولَـها منها ، وقرَّبوا إليها بعضَ أموالهم ، ليبلُغوا بذلك إلى مقاصدهم ومطالبهم .

وكان هذا النبيُّ العربي الأميُّ لا يعلم إلا بما يعلمون ، ولا يدري إلا بما يدرون . بل قد يعلم الواحد منهم المتمكّن من قراءة المكتوب ، وكتابة المقروء بغير ما يعلمه هذا النبيُّ .

فبينما هو على هذه الصفة بين هؤلاء القوم البالغينَ في الجهالة إلى هذا الحد جاءنا بهذا الكتاب العظيمِ ، الحاكي لما ذكرناه من تفاصيلِ أحوال الأنبياء وقصَصِهم ، وما جرى لهم مع قومهم على أكمل حال ، وأتمِّ وجه . ووجدناه موافقاً لما في تلك الكتب ، غيرَ مخالف لشيء منها . كان هذا من أعظم الأدلة الدالة على ثبوت نبوته على الخصوص ، وثبوتِ نبوة مَنْ قبلَه من الأنبياء على العموم .

ومثل دلالة هذا الدليل لا يتيسَّر لجاحد ، ولا لمكابرٍ . ولا لزنديقٍ مارقٍ أن يقدح فيها بقادح ، أو يعارضُها بشبهةٍ من الشُّبَهِ كائنةً ما كانت إن كان ممن يعقل ويفهم[٢٥] ، ويدري بما يوجبه العقلُ من قَبول الأدلة الصحيحة التي لا تقابَلُ بالردِّ ، ولا تُدْفَعُ بالمعارضة، ولا تقبلُ التشكيكَ ، ولا تحتملُ الشبهة .

ومع هذا فقد كان النبيُّ – ﷺ – الأمي المبعوثُ بين هؤلاء يصرِّحُ بين ظهرانيهم ببطلانِ ما هم عليه ، ويزيف ما هم فيه أبلغَ تزييفٍ ، ويقدحُ فيه أعظمَ قدحٍ ، ويبين لهم أنهم أعداء الله ، وأنهم مستحقون لغضبه وسَخَطِه وعقوبتِه ، وأنهم ليسوا على شيء . فبهذا السبب صاروا جميعاً أعداءَ له ، يطعنون عليه بالمطاعن التي يعلمون أنه منزَّهٌ عنها، مبرأٌ منها كقولهم : إنه كذّابٌ ، وإنه مجنون ، وإنه ساحرٌ .

فلو علموا أنه تعلَّم من أحد من أهل الكتاب . أو أخذ عن فرد من أفرادها ، لجاءوا بهذا المطعن باديَ بَدْءٍ ، وجعلوه عنواناً لتلك المطاعن الكاذبة ، بل لو وجدوا إلى ذلك سبيلاً لعوَّلوا عليه ، ولم يحتاجوا إلى غيره . فلما لم يأتوا بذلك ، ولا تكلَّموا به ، ولا وجدوا إليه سبيلاً ، علِمَ كلُّ عاقل أنه لم يتعلَّم من أحد من اليهود ولا من النصارى ، ولا من غيرِ هاتينِ الطائفتينِ .

إذا لم يُطْعَنْ عليه بذلك هؤلاء الذين هم قومُهُ وقد ولد بينَهم ، وعاش في ديارهم ، يخالطُهم ، ويخالطونه ، ويواصلهم ويواصلونه ، ويعرفون جميعَ أحواله ، ولا سيما من كان

من قرابته منهم الذين صاروا له بعد البعثة أشدَّ الأعداء ، وأعظمَ الخصومِ ، كأبي لهب ، وأمثالِه ، فإنه لا شك ، ولا ريبَ أنه لا يخفى عليهم ، ما هو دون هذا من أحواله .

وأيضاً لو كان قد تعلَّم من أحد من أهل الكتاب ، لم يخفَ ذلك على أهل الكتاب الذين صرَّح لهم بأهم إن لم يؤمنوا به فهم من أعداء الله ، ومن المستحقينَ لسخطِهِ ، وعقوبتِه ، وأهم على ضلالة ، وأهم قد غيَّروا كتابَهم ، وحرَّفوه ، وبدَّلوه ، وأهم أحقّاءُ بلعنةِ اللهِ وغضبِه .

فلو كان له معلِّمٌ منهم ، أو من أمثالهم من أهل الكتاب ، لجعلوا هذا المطعنَ عليه مقدَّماً على كل مطعن يطعنونه به من تلك المطاعن الكاذبة ، بل كان هذا المطعنُ مستغنياً عن كل ما طعنوا به عليه ، لأن مسافتَهُ قريبةٌ ، وتأثيره ظاهر ، وقبولُ عقولِ العامَّة له من أهل الكتاب ، ومن المشركين أيسرُ من قبولها لتلك المطاعن الكاذبة التي جاءوا بها . هذا معلوم لكل عاقل ، لا يشكُّ فيه شاكٌّ ، ولا يتلعثَمُ عنده متلعثمٌ ، ولا يكابِرُهُ فيه مكابرٌ . فلما لم يطعن عليه أحدٌ منهم بشيء من ذلك علمنا علماً يقيناً انتفاءَ ذلك ، وأنه لم يتعلَّم من أحد منهم .

وإذا تقرر هذا البرهانُ الذي هو أوضح من شمس النهارِ أنه لم يكن له معلِّم من اليهود، ولا من النصارى ، ولا من غيرهم ، ممن له علمٌ بأحوال الأنبياء ، فلم يبقَ إلا أن يكون اطَّلع بنفسه منفرداً عن الناس على مثل التوراة والزَّبور والإنجيل . ونحوِ ذلك من كتب الأنبياء .

وقد علمنا علماً يقيناً بأنه كان أمِّياً [٢٦] لا يقرأ المكتوبَ ، ولا يكتب المقروءَ . ثبت هذا بالنقل المتواتر عن أصحابه ، مع عدم مخالفة المخالفينَ له في ذلك ، فإنه لم يُسْمَعْ عن واحد منهم أنه نسب إليه أنه يقدر على قراءة المكتوبِ ، أو كتابة المقروءِ ، وحينئذ انتفت هذه الطريقةُ أعني كونَه اطَّلع على الكتب المتقدمةِ بنفسه منفرداً عن الناس ، وإنما قلنا منفرداً عن الناس لأنا لو فرضنا قدرتَه على ذلك في محضر أحد من الناس لم يخفَ ذلك على أتباعه ولا على أعدائه .

فإذا انتفت قدرته على قراءة المكتوب من حيث كونُه أُمِّياً ، وانتفى اطــلاع أحدٍ من الناس على شيء من ذلك علمنا أنه لم يأخذْ شيئاً من ذلك لا بطريق التعليم ، ولا بطريــق المباشرة منه لتلك الكتبِ ، ولم يُسْمَعْ عن أحد ، لا من أتباعه ، ولا من أعدائــه ، أنــه كان بمكة مَنْ يعرف أحوال الأنبياء وقِصَصَهم ، وما جاءوا به من الشرائع ، ولا كــان بمكة من كتب الله - سبحانه - المنزلةِ على رسله شيءٌ ، ولا كانت قريش ممن يرغــب إلى ذلك أو يطلبُه ، أو يحرصُ على معرفته ، ومع هذا فقد كان أعداؤه مــن كفــار قريــش يعترفون بصدقه ، ويقرون بأهم لم يجرِّبوا عليه كذِبــاً ، وفي حديــث ابــن عبــاس في الصحيحين[1] وغيرِهما في قصة سؤال هرقلَ لأبي سفيانَ أنه قال له : فهل كنتم تتهمونــه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقال أبو سفيان : لا .

وفي الصحيحين[2] وغيرهما من حديث عبد الله بنِ مسعود أن سعد بن معاذ لما قــال لأميةَ بنِ خلف أن النبي - ﷺ - ذكر أنه سيقتُلَ فقال ذلك لامرأته . فقــالت والله مــا يكذبُ محمدٌ ، وفي رواية أخرى أن أمية قال أيضاً : والله ما يكذب محمدٌ ، وعزم على ألا يخرج خوفاً من هذا .

وأخرج البخاري في صحيحه[3] من حديث ابن عباس أن النبي - ﷺ - قال لقريــش: " **لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريدُ أن تغيرَ عليكم أكنتُمْ مصدقيَّ** ؟ " قالوا : نعم ، ما جرَّبنا عليك إلا صدقاً .

وأخرج البخاري في تاريخه[4] ، وأبو زرعة في دلائله ، وابن إسحاق[5] أن أبا طالب لما

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧) ومسلم في صحيحه رقم (١٧٧٣) وقد تقدم .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٣٢) .

(٣) : رقم (٤٧٧٠) وأخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٠٨) .

(٤) : (٥٠/١/٤-٥١ رقم ٢٣٠) . من حديث عقيل بن أبي طالب .

(٥) : أورده الهيثمي في " مجمع الزوائد " (١٥/٦) : وقال : رواه الطبراني في " الأوسط " و " الكبير " إلا أنــه قال من جلس بدل مكان (كبس) وأبو يعلى باختصار في أوله. ورجال أبي يعلى رجال الصحيح . اهـــ.

قال للنبيِّ - ﷺ - أن يكفَّ عن قريش ، فقال : والله ما أقدرُ على أن أدعَ ما بُعثْتُ بـه ، فقال أبو طالب لقريش : " والله ما كذبَ قطُّ فارجعوا راشدينَ " .

وأخرج ابن مردويه في كتاب التفسير ، وأبو يعلى الموصِلّي في مسنده ، وعبد ابن حميد ، أن عتبةَ بنَ ربيعةَ قال لقريش : " وقد علمتُم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذبْ ".

[٥- إخباره - صلى الله عليه وسلم - بالمغيّبات من دلائل النبوة]

ومن أعظم دلائل نبوته - ﷺ - التي يجدُ الجاحدون إلى جَحْدِها سبيلاً ، ولا يمكن إسنادُها إلى تعليم بشر ، ولا نسبتُها إلى سِحْرٍ أنه - ﷺ - كان يسأل عن أمور ماضية يتعنَّته بها أهل الكتاب والمشركون ، فيترل جبريلُ في تلك الحالة فيخبره بها في الموضع الذي سألوه فيه ، من غيرِ أن يفارقَه أو يذهبَ إلى أحد من الناس يستعلمُ .

وذلك كسؤالهم له عن أصحاب الكهف ، وعن ذي القرنينِ ، وعن الروحِ ، ونحوِ ذلك من الأمور التي غالبُها غيرُ مذكور في التوراة ونحوِها ، بل قد يخبرهم ابتداءً بشيء من أحوال الأنبياء ، لم يكن في التوراة التي هي مرجعُ أهل المللِ في تعرُّفِ أحوال الأنبياء من لدنْ آدمَ إلى موسى . وذلك كقصةِ هود ، وصالح ، وشعيبٍ ، وكثيرٍ من أحوال إبراهيمَ، وإسحاقَ ، وإسماعيلَ ، ويعقوب ويوسفَ ، ومثل قصةِ الخَضِر مع موسى ، ومثل أحوال سليمانَ كقصةِ البساطِ ، وقصة العفريتِ ، وقصةِ الهُدْهُدِ ؛ فإن هذه لم تكن في التوراةِ ، ولم يسمع عن أحد من أهل الكتاب أنه ردَّ ذلك ، أو كذَّبه ، بل انبهروا ، وأعجبوا منه .

وفي صحيح البخاري(١) من حديث أنس قال : جاء عبد الله بن سلام[٢٧] إلى رسول الله - ﷺ - [بعد] مَقْدَمِهِ المدينة ، فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمها إلا نبيٌّ : ما أول أشراطِ الساعة ؟ وما أولُ طعام يأكلُه أهل الجنةِ ؟ والولد ينـزعُ إلى أمِّه أو إلى أبيه ؟ قال : **أخبرني جبريل آنفاً** ، قال عبد الله : ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة .

---

(١) : في صحيحه رقم (٣٩١١) .

أما أول أشراط الساعةِ فنارٌ تحشُرهم من المشرقِ إلى المغرب .

وأما أول طعام يأكلُه أهلِ الجنة ، فزيادة كبد الحوت .

وأما الولد ، فإذا سبقَ ماءُ الرجلِ ماءَ المرأةِ نَزَعَ الولدُ إلى أبيهِ ، وإذا سبق ماء المرأةِ ماءَ الرجل نزع الولد إلى أمِّهِ . فقال عبد الله بن سلام : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله .

وفي صحيح مسلم[1] من حديث ثوبانَ قال : كنت قائماً عند رسول الله - ﷺ - ، فجاء حَبْرٌ من أحبار اليهود ، وقال : السلام عليك يا محمد ، فدفعتُه دَفْعَةً كاد يُصْرَعُ منها ، فقال : لم تدفعني ؟ قال : قلتُ : ألا تقولُ : يا رسولَ الله ! ، قال إنما سميتُه باسمه الذي سماه به أهلُه ، فقال رسول الله - ﷺ - : **ينفعُك شيءٌ إن حدثتُك** ؟ قال : أسمعُ بأذني فنكتَ بعودٍ معه ، فقال له : سلْ .

فقال اليهودي : أين الناس يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسماواتَ ؟ فقال رسول الله - ﷺ - : **في الظلمةِ دون الحشرِ** ، قال : فمن أول الناس إجازةً ؟ قال : " **فقراءُ المهاجرينَ** " . فقال اليهودي : فما تُحفتُهُم حين يدخلون ؟ قال : **زيادةُ كبدِ نونٍ** . قال: وما غذاؤُهم على أثَرِهِ ؟ قال : **يُنحرُ لهم ثورُ الجنةِ الذي كان يأكل من أطرافها** . قال : فما شرابُهم عليه ؟ قال : **من عينٍ فيها تسمّى سلسبيلا** . قال : صدقت . قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحدٌ من أهل الأرض إلا نبيٌّ ، أو رجلٌ أو رجلانِ . قال ينفعُك إن حدثتك ؟ قال : **أسمعُ بأذني** . قال : جئتُ أسألك عن الولد . قال : **ماءُ الرجل أبيضُ، وماءُ المرأةِ أصفرُ ، فإذا اجتمعا . فعلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة أَذْكَرَا بإذن الله ، وإذا علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل آنَثَا بإذن الله** .

فقال اليهوديُّ : صدقتَ ، وإنَّك لنبيٌّ ، ثم انصرف . فقال النبي - ﷺ - : **إنه سألني هذا الذي سألني عنه ، وما أعلمُ شيئاً منه ، حتى أتاني به الله تعالى** .

---

(١) : (٢٥٢/١ رقم ٣١٥/٣٤) .

وأخرج أبو داود الطيالسي[1] عن ابن عباس ، قال : حضرتْ عصابةٌ من اليهود يوماً إلى النبي – ﷺ – فقالوا : يا رسول الله ، حدَّثنا عن خِلالٍ نسألُكَ عنها ، لا يعلمها إلا نبيٌّ ، فقال : **سلوني عما شئتُم ، ولكنِ اجعلوا لي ذِمّةَ الله وما أخذ يعقوبُ على نبيه إن أنا حدَّثتكم بشيء تعرفونَه صِدقاً ، لتتابعوني على الإسلام** . قالوا : لك ذلك . قال : **فسلوني عما شئتم** . قالوا : أخبرنا عن أربع خِلالٍ :

أخبرنا عن الطعام الذي حرَّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تُنَزَّلَ التوراةُ .

وأخبرنا عن ماء الرجل كيفَ يكون الذَّكر منه حتى يكون ذكَرَاً ، وكيف تكون الأنثى منه حتى تكون أنثى .

وأخبرنا كيف هذا النبيُّ في النوم ؟ ومن وليُّك من الملائكة ؟ فقال : **عليكم عهدُ الله وميثاقُه لئن أنا أحدثكم لتتابعوني** ؟ فأعطوه ما شاء من عهدٍ وميثاق . قال : **أنشدكم بالله الذي أنزل التوراةَ على موسى ، هل تعلمون أن إسرائيل – يعقوب – مرضَ مرضاً شديداً طال سَقَمُهُ فيه ، فنذر لله نذراً لئن شفاه الله من سقمِه ليحرِّم من أحب الشراب إليه ، وأحبَّ الطعام إليه ؟ وكان أحبُّ الشراب إليه ألبانَ الإبلِ ، وأحبَّ الطعام إليه لحومَ الإبلِ** . فقالوا : اللهم نعم .

فقال رسول الله – ﷺ – : **اللهم اشهد عليهم** . قال : **فأنشدكم الله الذي لا إلهَ إلا هو الذي أنزل التوراةَ على موسى ، هل تعلمون أن ماءَ الرجل غليظٌ وأبيضُ ، وأن ماء المرأة رقيقٌ أصفرُ ، فأيُّهما علا كان الولدُ والشَّبَهُ له بإذن الله** ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : **اللهم اشهد** . قال : **أنشدكم بالله [٢٨] الذي لا إله إلا هو ، وأنزل التوراةَ على موسى ، هل تعلمون أن هذا النبي تنام عيناه ، ولا ينام قلبُه** ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : **اللهم اشهد** .قالوا : أنت الآن حدِّثنا من وليُّك من الملائكة ؟ فعندها نجامعك أو نفارقُك .

---

(١) : في مسنده (٣٥٦-٣٥٧ رقم ٢٧٣١) .

قال : **وليي جبريلُ - عليه السلام - ولم يبعثِ الله نبياً قطُّ إلا وهو وليُّه** . قالوا : فعندها نفارقُك ، لو كان غيره لاتَّبعناك وصدَّقناك قال : **فما يمنعكم أن تصدِّقوه** ؟ قالوا : إنه عدوُّنا من الملائكة ، فأنزل الله : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[1] .

ففي هذه الأحاديث اعترافُ هؤلاء السائلينَ من اليهود أن تلك المسائلَ التي سألوه عنها لا يعلمُها إلا نبيٌّ ، وقد أخبرهم بما سألوه وصدَّقوا في جميع ذلك ، فاندفع بذلك شكُّ كلِّ جاحد ، وبطل عنده ريبُ كلِّ ملحد .

٦- القرآنُ معجزةُ الرسول الخالدة :

واعلم أن دلائل نبوة نبينا - ﷺ - يطول تعدادها ، ويتعسَّر ذكرُها . وقد صنف أهل العلم في ذلك مصنَّفاتٍ مبسوطةً مشتملةً على كثير منها . ولو لم يكن منها ، إلا هذا الكتابُ العزيز الذي جاء به من عند الله – سبحانه – مشتملاً على مصالح المعاش والمعاد ، وتحدَّى به فرسانَ الكلام ، وأبطالَ البلاغة ، وأفرادَ الدهر في العلم بهذه اللغةِ العربيةِ ، وقال لهم : ليأتوا بحديث مثلِه إن كانوا صادقينَ .

ثم قال لهم : ﴿ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[2] ثم قال لهم : ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[3] . فلم يقدروا على ذلك ، وكاعُوا عنه ، وعجزوا على رؤوس الأشهادِ . وكان أكابر بلغائِهم ، وأعاظِمُ فُصَحائِهم ، إذا سمعوا القرآن ، اعترفوا بأنه لا يشبه نظمَهم ولا نَثْرَهم ، وأقرُّوا

---

(١) : [البقرة : ٩٧-٩٨] .

(٢) : [هود : ١٣] .

(٣) : [البقرة : ٢٣] .

ببلاغته كما قال الوليد بن المغيرة لما سمع النبيَّ - ﷺ - يقرأ : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[1] . فقال : أَعِدْ ، فأعاد النبيُّ - ﷺ - ، فقال : " والله إن له لحلاوةً ،وإن عليه لطَلاوةً ، وإن أعلاهُ لمثمرٌ ، وإن أسفلَه لمغدِقٌ ،وما يقول هذا بشرٌ "[2].

وروى ابن إسحاق[3] من حديث ابن عباس قال : قام النضر بنُ الحارث فقال : يا معشر قريش ، والله لقد نزل بكم أمرٌ ما ابْتُلِيتُم بمثلِه . لقد كان محمد فيكم غلاماً حَدَثاً ، أرضَاكم فيكم ، وأصدَقكم حديثاً وأعظَمَكم أمانةً ، حتى إذا رأيتم في صدغَيْهِ الشيبِ ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتُم ساحرٌ !! لا واللهِ ما هو بساحرٍ ، قد رأينا السَّحَرَةَ ونفثَهم وعُقَدَهم . وقلتم كاهنٌ ، لا واللهِ ما هو بكاهنٍ ، قد رأينا الكهنةَ وسمعنا سجعَهم . وقلتُم شاعرٌ ، لا والله ما هو بشاعرٍ ، لقد رأينا الشعرَ ، وسمعنا أصنافَه كلَّها هزجه ورجزِه وقريضِه .

وقلتُم مجنونٌ . لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا المجنونَ . فما هو بخنقِه ، ولا تخليطِه . يا معشرَ قريش . انظروا في شأنكم ؛ فإنه — والله — قد نزل بكم أمرٌ عظيم[4] .

وروي عن الوليد بن المغيرة[5] نحوُ هذا ، وروى ابن إسحاق أيضاً أن أبا جهل[6] قال: إني لأعلم أنما يقول محمدٌ حقٌ . ولكنَّ بني قصيٍّ قالوا : فينا الندوةُ ، فقلنا : نعم ، فينا الحِجَابةُ فقلنا : نعم . فينا السقايةُ : فقلنا نعم . وفي لفظ : " تنازعْنَا نحن وبنو عبد

---

(١) : [النحل : ٩٠] .

(٢) : أخرجه ابن إسحاق كما في " السيرة النبوية " (٣٣٤/١-٣٣٦) معلقاً ، وانظر " الدر المنثور " (٣٢٩/٧-٣٣١) .

(٣) : كما في " السيرة النبوية " (٣٦٩/١-٣٧٠) معلقاً .

(٤) : كما في " السيرة النبوية " (٣٦٢/١-٣٦٤) .

(٥) : كما في " السيرة النبوية " (٣٦٩/١-٣٧٠) .

(٦) : أخرجه البيهقي في " دلائل النبوة " (٢٠٧/٢) .

مناف الشرفَ : أطعموا فأطْعمْنا وحملُوا فحملْنا ، وأعطوا فأعطينا ، ثم إذا تجاثينا على الرُّكَبِ ، وكنا كفرسَيْ رِهانٍ قالوا : منَّا نبيٌّ يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندركُ هذه ؟ والله لا نؤمن به ولا نصدِّقه أبداً .

دع عنكَ ما حصل للإنس من استعظامِ أمرِ القرآن ، والتعجُّبِ منه وتصديقه !! هؤلاء الجنُّ قد وقع منهم ذلك كما حكاه الله – سبحانه – عنهم في كتابه[٢٩] .

وفي الصحيحين(١) من حديث ابن عباس قال : انطلقَ رسول الله – ﷺ – في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عُكَاظٍ . وقيل : حيل بين الشياطينَ ، وبين خبرِ السماء ، وأُرْسِلَتْ عليهم الشُّهُبُ ، فرجعتِ الشياطينُ إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيلَ بيننا وبين خبر السماءِ وأرسلت علينا الشهب . قالوا : ما ذاك إلا من نبأ حدثٍ فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء ، فانطلقوا يضربون مشارقَ الأرض ومغاربَها ، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة ، فوجدوا النبيَّ – ﷺ – يصلِّي بأصحابه صلاةَ الفجرِ ، فلما سمعوا القرآنَ استمعوا له ، وقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء ، فرجعوا إلى قومهم ، فقالوا : يا قومَنا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ ﴾(٢) . فأنزل الله – عز وجل – على نبيه محمد – ﷺ – : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾(٢) . والأحاديثُ في هذا كثيرة جداً .

واعلم أنه قد صنَّف جماعة من الحفَّاظ في دلائل النبوة مصنَّفاتٍ اشتملتْ على أنواع مما فيه الدلالةُ على نبوة نبينا – ﷺ – بعضه يحصُل عنده العلم الضروريُّ ، فضلاً عن كلِّها . فمن المصنِّفين في ذلك ، الإمام أبو بكر بنُ عبد الله بنِ أبي الدنيا ، والإمام أبو إسحاق الحربي ، والإمام أبو جعفر الفريابيُّ ، والإمام أبو زرعةَ الرازيُّ ، والإمام أبو

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٩٢١) ومسلم في صحيحه رقم (١٤٩/٤٤٩) .

(٢) : [الجن : ١] .

القاسم الطبراني ، والإمام أبو الشيخ الأصبهاني ، والإمامُ أبو نعيم الأصبهاني ، والإمام أبو بكر البيهقي ، والإمام أبو الفرج ابن الجوزي ،والإمام أبو عبد الله المقدِسي . وغير هؤلاء.

[٧- عَوْدٌ إلى الإخبار بالغيبيات كدلائل على نبوته صلى الله عليه وسلم]

ولو لم يكن من دلائل نبوته - ﷺ - إلا ما وقعَ من الإخبار بالأمور الغيبية التي وقعت كما أخبر به ، و لم يتخلَّفْ شيءٌ منها ، وهي كثيرة جداً . وقد اشتمل القرآن الكريم على شيء من ذلك كقوله - عز وجل - : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾[1] . فوقع صدقُ هذا الخبر ، وأظهر الله - سبحانه - دينَ الإسلام على جميع الأديان .

وكذا قوله : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَۗ ﴾[2] . فوقع ما أخبر به القرآنُ بعد المدة التي ذكرها ، وذلك معلوم لا يختلفُ فيه الناس .

وكذا قوله - سبحانه - في شأن اليهود : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[3] وقد كان هذا كما أخبر به القرآن ، فإنهم ما زالوا تحت الذلَّة والمسكنةِ في جميع أقطار الأرض ، لم يجتمعْ لهم جيشٌ ، ولا انتصروا في موطن من المواطن، ولا ثبتت لهم دولةٌ قطُّ ، بل كلُّ طائفة منهم في جميع بقاع الدنيا مضطهدونَ

---

(١) : [الفتح : ٢٨] .

(٢) : [الروم : ١-٤] .

(٣) : [آل عمران : ١١٢] .

متمسكنون ، يسلّمون الجزية إلى غيرهم ، ويَذِلُّونَ لمن جاورهم . وكذلك قولُه - سبحانه - ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾(١) .

وقوله : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾(٢) . وقد كان هذا ، فإنه لم يعارِضِ القرآنَ معارضٌ ، ولا جاء بمثله ولا بمثل بعضِه أحدٌ ، لا من مسلمٍ ، ولا كافر ، ولا من إنس ولا جنٍّ [٣٠] ، وقد نفى – سبحانه – أن يفعلُوا ذلك كما قال : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾(٣) . فأخبر سبحانه ، أنهم لن يفعلُوا ، ولم يقع ما يخالف هذا النفيَ المؤكَّدَ ألْبَتَّةْ . وقال – سبحانه – : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾(٤) . وقال مخاطباً لليهود : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾(٥) وقد كان هذا ، فإنه لم يُسْمَعْ أن يهودياً تمنَّى الموتَ إلى هذه الغاية، فإن اليهود الموجودين على ظهر البسيطة إذا قال لهم قائل : تمنَّوا الموتَ لم يتمنَّوه أبداً ، ولا يساعدُ على ذلك واحدٌ منهم قطٌّ .

وقال سبحانه : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ

---

(١) : [الإسراء : ٩٨] .

(٢) : [البقرة : ٢٣] .

(٣) : [البقرة : ٢٤] .

(٤) : [الجمعة : ٦] .

(٥) : [البقرة : ٩٤-٩٥] .

رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾[1] . ووقع هذا كما أخبر به – سبحانه – ، فدخلوا المسجدَ آمنينَ محلِّقين ومقصِّرين ، كما وعدهم . وهكذا قولُه : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾[2] . وقد دخل الناس في دين الله أفواجاً . وما قُبِضَ – ﷺ – إلا بعد أن دخل جميعُ العربِ في دين الله ، و لم يبقَ أحدٌ منهم على الكفر . ومن ذلك ما وقع من إخباره – سبحانه – عن أمور مستقْبَلَةٍ ، وكانت كما أخبر به ، وذلك كثيرٌ جداً ، كإخباره عن بعض الكفار بأنه لا يؤمن ، وأنه من أهل النار كأبي لهبٍ ، فإنه قال فيه : ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ ﴾[3] فماتَ على الكفر . وقال في الوليد : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾[4] ، فمات على الكفر .

وقد ثبت في الصحيحين[5] وغيرهما[6] من حديث حذيفة أنه قال : قام فينا رسولُ الله – ﷺ – مقاماً ، ما ترك شيئاً يكون في مقامِه ذلكَ إلى قيام الساعةِ إلا حدَّث به ، حفظَه من حفظَه ، ونسيَه من نسيَه ، قد عَلِمَهُ أصحابي هؤلاءِ ، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيتُه ، فأراه فأذكُره ، كما يذكر الرجلُ وَجْهَ الرجلِ إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفَهُ .وناهيك بهذا،فإن الإخبارَ بجميع الحوادثِ المستقبلةِ إلى قيام الساعة أمرٌ عظيم . وقد كان حذيفةُ راوي هذا الحديثِ مرجِعاً للصحابة في معرفة أحوالِ الفتنِ ، ومعرفة أهلِ

---

(١) : [الفتح : ٢٧] .

(٢) : [النصر : ١-٣] .

(٣) : [المسد : ٣] .

(٤) : [المدثر : ٢٦] .

(٥) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٦٠٤) ومسلم في صحيحه رقم (٢٨٩١) .

(٦) : كأبي داود في السنن رقم (٤٢٤٠) .

النفـــاق ، وتمييزِ أهل الحقِّ من أهل الباطلِ ، لما حفظَ في هذا المقامِ الذي قامه رســول الله – ﷺ – .

ومن ذلك ســؤال عمرَ بن الخطاب – رضي الله عنه – له عن الفتن فقال : إن بينَك وبينـــها باباً ، فقال هل يفتح ، أو يُكْــسَرُ ؟ فقال : بل يُكْسَرُ ، فعرف عمر أنه البابُ ، وأنـــه يقتلُ . كما أخبر حذيفةُ من سأله عن ذلك هل علم عمرُ ذلك ؟ فقال : نعم كما يعلـــم أن دون غدٍ الليلةُ ، فإني حدَّثته بحديث ليس بالأغاليطِ ، وهذا ثابتٌ في الصحيح[1] .

ومن ذلك ما ثبت في البخاري[2] أنه – ﷺ – قال لِعَدِيِّ بن حاتم : " **لئن طالتْ لك حياة لتفتحنَّ كنوزَ كسرى ، فقال عدي : كسرى بنُ هرمـــز !؟ فقـــال – ﷺ – : كسرى بن هرمز** " .

وقد كان هذا كما أخبر به – ﷺ – ففتح المسلمونَ مملكةَ كِسْـــرَى بـــنِ هرمـــز ، وأخذوا كنوزَه ، واستولَوْا على بلاده ، وضربوا على رعيَّته الخراجَ والجزيةَ . قال عـــدي وكتب فيمن أتته كنوزُ كسرى ابن هرمز وقال له أيضاً كما في البخاري : " ولئن طالتْ لك حياةٌ لترينَّ الظعينةَ ، ترحلُ من الحيرةِ حتى تطوفَ الكعبةَ لا تخافُ أحداً [٣١] إلا الله قال : قلتُ فيما بيني وبين نفسي : فأين ذعار طيء الذين قد سعروا البلاد ؟ ثم قال عدي: فرأيت الظعينةَ ترتحلُ من الحيرةِ حتى تطوفَ بالكعبةِ ، لا تخافُ إلا الله " .

وفي صحيح مسلم[3] من حديث نافع بن عتبةَ قال : حفظت من النبي – ﷺ – أربـــعَ كلماتٍ ، أعدهنَّ في يدي : " **تغزون جزيرة العرب ، يفتحُها الله ، ثم تغـــزون فـــارسَ فيفتحها الله ، ثم تغزون الرومَ فيفتحُها الله ، ثمَّ تغزون الدجَّالَ فيفتحُهُ الله** " .

وقد وقعتِ الثلاثُ الكلماتِ الأُوَلِ . وستقع الرابعةُ إن شاء الله .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٢٥) ومسلم في صحيحه رقم (١٤٤) .

(٢) : في صحيحه رقم (٣٥٩٥) .

(٣) : في صحيحه رقم (٣٨/٢٩٠٠) .

وفي الصحيحين[1] وغيرهما من حديث أبي هريرة عن النبي - ﷺ - أنه قال : " **لا تقومُ الساعةُ حتى تخرجَ نار من أرض الحجاز ، تضيء لها أعناقُ الإبل ببُصْرَى** " ، قلت : وقد خرجت هذه النارُ في الحجازِ في بضع وخمسينَ وستمائةٍ . وأضاءت لها أعناقُ الإبل ببصرى .

وفي صحيح البخاري[2] من حديث أبي بكرةَ عن النبي - ﷺ - أنه قال في الحسن ابن علي - رضي الله عنه - : " **إن ابني هذا سيِّدٌ ، وسيصلحُ به الله بين فئتينِ عظيمتينِ من المسلمين** " ، قلت : وقد كان هذا ، فإن الحسن أصلحَ بين طائفتينِ عظيمتينِ من المسلمين ، وهما جيش العراق الذين كانوا معه ، وجيشُ الشام الذين كانوا مع معاويةَ .

وفي الصحيحين[3] وغيرهما من حديث أبي سعيد ، وأسماءَ أن رسول الله -ﷺ- قال في عمار بن ياسر : " **تقتلُهُ الفئةُ الباغيةُ** " ، قلت :وقد قتلتْه الفئةُ الباغيةُ أهلُ الشام .

وفي الصحيحين[4] وغيرهما عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه : أن إمرأةً سألت رسول الله - ﷺ - شيئاً ، فأمرها أن ترجع إليه ، فقالت : إن جئتُ فلم أجدْك يا رسول الله ، قال جبير بن مطعم : كأنها تعني الموتَ ، قال : إن لم تجديني ، فأتي أبا بكر . قلت : وقد كان ذلك ، فإنه وُلِّيَ أمرَ المسلمين أبا بكر - رضي الله عنه - بعد موته - رضي الله عنه - .

وفي الصحيحين[5] وغيرهما أن النبي - ﷺ - قال : " **زُوِيَتْ لي الأرضُ مشارقَها ومغاربَها ، وسيبلغ ملكُ أمتي مازُوِيَ لي منها** " . قلت : وقد كان ذلك ولله الحمدُ .

وفي صحيح[6] مسلم ، عن أبي ذر ، عن النبي - ﷺ - أنه قال : " **ستفتحُ مصرُ** ،

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧١١٨) ومسلم في صحيحه رقم (٢٩٠٢) .

(٢) : في صحيحه رقم (٢٧٠٤) وأطرافه [٣٦٢٩ ، ٣٧٤٦ ، ٧١٠٩] .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٤٧) ومسلم في صحيحه رقم (٢٩١٦) .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٥٩) ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٨٦) .

(٥) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٨٩/١٩) من حديث ثوبان .

(٦) : (١٩٧٠/٤ رقم ٢٢٦/٢٥٤٣) .

وهي أرض يسمَّى فيها القيراطُ فاستوصوا بأهلها خيراً " . قلت : وقد فتحت ولله الحمد في أيام الصحابةِ .

وفي صحيح مسلم[1] عن عبد الله بن عمر أن رسول الله – ﷺ – قال : " **إذا فتحتْ عليكم فارسُ والرومُ ، أيُّ قوم أنتم ؟ قال عبد الرحمن بن عوف : نكون كما أمرنا الله . قال رسول الله ﷺ : أو غيرُ ذلك ؟ تتنافسون ثم تتحاسدون ، ثم تتدابرون ، ثم تتباغضُون ، ثم تنطلقُون في مساكنِ المهاجرينَ ، فيحملون بعضهم على رقاب بعض** " .

قلت : وقد كان هذا ، فإنهم فتحوا فارسَ والرومَ ، ثم وقع منهم ما ذكره – ﷺ – في آخر أيام عثمانَ – رضي الله عنه – ، ثم عند قتلِه ، ثم فيما بعد ذلك كما هو معلومٌ لكل عارف .

وفي صحيح البخاري[2] من حديث سليمانَ بن صُرَدٍ قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول حين أجلى الأحزابَ عنه " **الآن نغزوهم ولا يغزُونا** " . قلت : وقد كان ذلك ، فإن كفارَ قريش لم يغزوا النبيَّ – ﷺ – بعدها ، ثم غزاهم غزوةَ الفتح .

وثبت في الصحيحين[3] وغيرهما من طرق أن النبيَّ – ﷺ – قال لذي الخُوَيْصِرَةَ : " **إنه يخرج من ضِئْضِىء هذا أقوام .. يحقرُ أحدكم صلاتَه مع صلاته** " ، الحديثُ ، على اختلاف ألفاظه .

وقد خرج بعد ذلك الخوارجُ في خلافة علي – رضي الله عنه – ، ثم مازالت تخرج منهم على المسلمين طائفةٌ بعد طائفة ، ومنهم شِرْذِمَةٌ باقيةٌ إلى الآن ، يقال لهم الإباضيةُ بأطراف الهندِ ، لا يزالون يخرجون على المسلمين في بَرِّهم وبحرِهم .

وفي الصحيحين[4] وغيرهما أن النبيَّ – ﷺ – سارَرَ فاطمةَ ابنتَه – رضي الله عنها –

---

(١) : (٤/٢٢٧٤- ٢٢٧٥ رقم ٧/٢٩٦٢) .

(٢) : رقم (٤١١٠) .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٣٥١) ومسلم في صحيحه رقم (١٠٦٤) وقد تقدم .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٢٣ ، ٣٦٢٥) ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٥٠) .

[٣٢] في مرض موتِه أنه سيموتُ في ذلك المرضِ ، ثم أخبرها أنها أولُ أهلِهِ لحوقـــاً بـــه . قلت : وقد مات – ﷺ – في ذلك المرض ، وماتت فاطمةُ – رضي الله عنها – بعـــده بستةِ أشْهُرٍ .

وفي الصحيحين[١] وغيرهما من حديث أنسٍ : " **أن أمَّ حرامٍ بنتَ ملحانَ طلبت مـــن رسول الله – ﷺ – أن يدعُوَ لها أن تكون ممن يركب البحرَ فدعا لها** " . قلت : وقـــد ركبتِ البحر في زمن معاويةَ ، فلما خرجت منه صُرِعَتْ عن دابَّتها فماتتْ .

وفي الصحيحين[٢] وغيرهما من حديث أبي هريرة : أنه قال رسول الله – ﷺ – يوماً : " **أيكم بسطَ ثوبَه ، فيأخذ من حديثي فيجمعُه إلى صدره ، فإنه لن ينسى شيئاً سمعَه** ؟ ، **فبسطتُ بردةً عليَّ حتى فرغْ من حديثه ثم جمعتُها إلى صدري فما نسيتُ بعـــد ذلـــك اليوم شيئاً سمعتُه منه** " قلت : وقد كان أبو هريرةَ – ﷺ – أحفظَ الصحابةِ لما يرويـــه ، وأتقنَهم لما سَمِعَه .

وفي صحيح مسلم[٣] عن أسماءَ بنتِ أبي بكر – رضي الله عنها – ،عن النبيِّ – ﷺ – أنه قال : " **سيكون في ثقيفَ كذابٌ ومبيرٌ** " قلت : وقد كان ذلك ، فالكذاب المختـــار ابن أبي عبيد الثقفي ، والمبير الحجَّاج بنُ يوسُفَ .

وفي الصحيحين[٤] وغيرهما عن سهل بن سعد أن رسول الله – ﷺ – قال يوم خيبرَ : " **لأعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَهُ ، ويحبُّه اللهُ ورسولُه ، يفتحُ الله على يديه** " قلت : وقد فتح الله خيبرَ على يدي من أعطاه تلك الرايةَ وهو عليٌّ – ﷺ – .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٧٨٩) ومسلم في صحيحه رقم (١٩١٢) بنحوه .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١١٩) ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٩٢) بنحوه .

(٣) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٥٤٥) ولفظه " أن في ثقيف كذاباً ومبيراً " .

- **المبير** : المهلك ، الذي يسرف في إهلاك الناس .

لسان العرب (٤/٨٦) .

(٤) : أخرجه البخاري رقم (٣٧٠١) ومسلم في صحيحه (٢٤٠٦) .

وفي الصحيحين[1] من حديث أبي هريرة قال : شهدنا مع رسول الله – ﷺ – حُنَيْنًا فقال لرجل ممن يدعي الإسلامَ : " **هذا من أهل النار** " فلما حضر القتالُ ، قاتلَ الرجلُ قتالاً شديداً ، فأصابتْه جراحةٌ ، فقيل : يا رسول الله ، الرجل الذي قلت له آنفاً إنه من أهل النار ، قاتلَ اليومَ قتالاً شديداً ، وقد مات ، فقال النبيُّ – ﷺ – : إلى النار ، فكاد بعض المسلمين أن يرتابَ ، فبينا هم على ذلك . إذ قيل فإنه لم يمتْ ، ولكن به جرحٌ شديد ، فلما كان الليلُ لم يصبرْ على الجرح ، فقتل نفسَه ، فأُخْبِرَ بذلك النبيُّ – ﷺ – فقال : الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله " . ولهذا الحديث[2] ألفاظٌ هذا حاصلُها .

وفي رواية " أن بعضَ الصحابة مازال يرصدُه بعد أن سمعَ من رسول الله – ﷺ – أنه من أهل النار حتى قتلَ نفسَه " .

وثبت في الصحيحين[3] وغيرهما من حديث علي : " أن رسول الله – ﷺ – أمره وأمر الزبير بن العوام ، وأبا مرثد الغنوي ، أن ينطلقوا حتى يأتُوا (روضةَ خاخٍ) فإنَّ بها امرأةً معها كتابٌ إلى مشركي قريش ، فوجدوها ووجدوا ذلك الكتابَ ، من حاطبِ بن أبي بلتعةَ " قلت : والقصةُ مشهورةٌ ، وفيها اعتذارُ حاطبٍ ، ونزولُ قوله – سبحانه – : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾[4] الآية .

وفي الصحيحين[5] وغيرِهما من حديث أبي هريرة أن النبي – ﷺ – أخبر بموت النجاشيِّ في اليوم الذي مات فيه ، وخرج إلى المصلَّى وكبَّرَ عليه أربعَ تكبيراتٍ . قلت : وكان الأمرُ كذلك ، فإنه جاء الخبر بموت النجاشيِّ في ذلك اليوم الذي أخبرهم فيه

---

(١) : أخرجه البخاري رقم (٣٠٦٢) ومسلم رقم (١١١) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٢٠٢) من حديث سهل بن سعد الساعدي .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٠٠٧ و ٣٩٨٣) ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٩٤) .

(٤) : [الممتحنة : ١] .

(٥) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٢٤٥) ومسلم في صحيحه رقم (٩٥١) .

رسولُ الله – ﷺ – .

وفي الصحيحين[1] من حديث حميدٍ الساعديِّ ، قال : خرجنا مع رسول الله – ﷺ – في غزوة تبوكَ فقال : " **ستهبُّ عليكم الليلة ريحٌ شديدةٌ ، فلا يقمْ فيها أحد منكم ، فمن كان له بعيرٌ ، فليشُدَّ عُقَلَهُ فهبَّ ريحٌ شديد ، فقام رجل فحملتْه الريحُ حتى ألقتْه بجبل طيءٍ** " .

وفي صحيح البخاري[2] أنه أرسل النبي – ﷺ – الجيشَ في غزوة مؤتةَ وأمَّر عليهم زيدَ ابنَ حارثةَ ، وقال : " **إن قُتِلَ فجعفرٌ ، فإن قتلَ فعبدُ الله بنُ رَوَاحةَ ، فقتِلُوا** " . وأخبر النبي – ﷺ – في اليوم الذي قتِلُوا فيه .[٣٣]

وفي صحيح البخاري[3] أن النبي – ﷺ – " **أخبر بقتل القُرَّاء في بئر معونةَ ، لما أخبره جبريلُ أنهم قد لقُوا ربَّهم ، فرضَّي عنهم ، وأرضاهم** " قلت : وقد كان ذلك قرآناً يتلَى ، حتى نُسِخَ لفظُه .

فهذه شعبةٌ يسيرةٌ ، من إخباره – ﷺ – بالأمور الغيبية التي وقعت كما أخبر به ، وقد اقتصرنا من ذلك على ما في الصحيحين ، وفيهما غيرُ ذلك مما يطولُ بسْطُه ، ويتَّسع استيفاؤه . وأما ما كان في غير الصحيحين من كتب الحديث والسِّيرِ ، فلا يتَّسع لذلك إلا مؤلَّفٌ بسيطٌ .

[من الآيات والدلائلِ على نبوَّته – ﷺ – :]

ومن دلائل نبوَّته وبراهينِ رسالتِه ، ما وقع له من الآيات البيِّناتِ ، والبراهينِ المعجزاتِ ، فمن ذلك : انشقاقُ القمر ، وقد نطق بذلك الكتاب العزيز ، قال الله – عز وجل – : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٤٨١) ومسلم في صحيحه رقم (١٣٩٢) .

(٢) : في صحيحه رقم (٤٢٦١) .

(٣) : في صحيحه رقم (٤٠٩٣) .

مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾[1] .

وفي الصحيحين[2] عن أنـس " **أن أهل مكةَ سألوا رسول الله – ﷺ – أن يريهم آيةً ، فأراهم انشقاقَ القمرِ مرَّتين** " . ومثلُه في الصحيحين[3] أيضاً عن ابن مسعود . وفي الصحيحين[4] أيضاً أن ابن مسعود قال " رأيت القمر منشقاً شقين بمكةَ . قيل فخرج النبي – ﷺ – شقة على جبل أبي قُبَيْسٍ ، وشقة على السويداء[5] ، فقال كفار قريش [يا] أهل مكة ، هذا سَحَرَكُمُ ابنُ أبي كَبْشَةَ[6] . انظروا السّفارَ ، فإن كانوا رأوا مثل ما رأيتم فقد صدقَ ، وإن لم يكونوا رأو مثلَ ما رأيتم فهو سحرٌ ، قال فسئل السّفارُ وقدِمُوا من كل وجه ، فقالوا رأينا " .

وفي صحيح البخاري[7] عن ابن عباس أنه قال : " **انشق القمر على زمان رسول الله – ﷺ –** ، وفي صحيح مسلم[8] عن ابن عمر في قوله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾ قال : قد كان ذلك على عهد رسول الله – ﷺ – انشق القمر فِلْقتينِ، فلقةٌ

---

(١) : [القمر ١-٢] .

(٢) : أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٨٠٢) لم يخرجه البخاري بهذا اللفظ .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٨٦٨) بنحوه ومسلم رقم (٢٨٠٢) .

(٤) : لم أجده بهذا اللفظ في الصحيحين .

بل أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/٢٦٥ ، ٢٦٦– ٢٦٧) وأبو داود الطيالسي في مسنده (ص٣٨ رقم ٢٩٥) وابن جرير في جامع البيان (١٣/ج٢٧/٨٥) .

(٥) : **السويداء** : موضع بالحجاز .

لسان العرب (٣/٢٣١) .

وقال ابن حجر في الفتح (٧/١٨٤) السويداء : ناحية خارج مكة عندها جبل .

(٦) : يقصد النبي ﷺ لأن أبا كبشة أحد أجداده ، وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض ...

انظر الفتح (١/٤٠) .

(٧) : رقم (٤٨٦٦) .

(٨) : رقم (٢٨٠١) .

من دون الجبلِ ، وفلقةٌ من خلْفِ الجبلِ ، فقال رسول الله – ﷺ – : " **اللهم اشهد** " .

قلت : وقد روي في غير[1] الصحيحين من غير طريق هؤلاء المذكورين .

ومن دلائل نبوته – ﷺ – صعودُه[2] ليلةَ المعراجِ إلى ما فوقَ السماواتِ ، وقد نطق بهذا الكتابُ العزيز ، وتواترتْ به الأحاديثُ تواتُراً لا يشكُّ من له أدنى إلمامٍ بعلم السنةِ ، ولا ينكر ذلك إلا متزندقٌ ، وليس بيده إلا مجرَّدُ الاستبعادِ ، وليس ذلك مما تدفع به الأدلَّةُ ، ويَبْطَلُ به الضرورياتُ وإلا لكان مجرَّد إنكار وقوعِ الشيءِ المبرهَنِ على وقوعهِ كافياً في دفْعِهِ ، وذلك خلاف العقل والنقل . وقد رفع الله – سبحانه – إلى السماء ، إدريسَ – عليه السلام – . وثبت في السِّفر الثاني من أسفار الملوك في التوراةِ ، أن إيليا رُفِعَ إلى السماء ، وبعض تلامذتِه ينظرُ إليه . وشاع ذلك ، ولم يخالف فيه أحدٌ من اليهود ، وهذا إيليا هو المسمَّى في القرآن إلياسُ . وهكذا ثبت في الأناجيل كلِّها أن الله – سبحانه – رفع عيسى – عليه السلام – بعد الطلب في زعمِهم كما هو محرَّر هنالك ، ولا يخالف في ذلك أحدٌ من النصارى . وقد نطق القرآنُ[3] الكريمُ بأنه رفعه إليه ، ولم يُصْلَبْ . وإلى ذلك ذهب بعضُ طوائفِ النصارى .

والحاصل أن رفعَه إلى السماء متفقٌ عليه بين جميع المسلمين ، وجميع النصارى ، ولم يقعِ الخلافُ بينهم إلا في كونه رُفِعَ قبلَ الصلبِ ، أو بعده .

ومن دلائل نبوته – ﷺ – ما ثبت في الصحيحين[4] وغيرهما : أن رجلاً دخلَ المسجدَ يوم الجمعة – والنبيُّ – ﷺ – قائم يخطب – فقال : يا رسول الله ، هلكتِ الأموالُ ،

---

(١) : أخرجه الترمذي في السنن رقم (٣٢٨٩) من حديث جبير بن مطعم .

(٢) : انظر صحيح البخاري رقم (٤٧١٦) وانظر : تفسير ابن كثير (٤٢٩/٧) .

(٣) : قال تعالى : ﴿ .... إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ .... ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٩٣٣) ومسلم في صحيحه رقم (٨٩٧/٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

وانقطعتِ السُّبُلُ ، فادع الله يغيثُنا ، [٣٤] فرفعَ رسول الله – ﷺ – يده ثم قال : " **اللهم أغِثْنا ، اللهم أغثنا** " . قال أنسٌ : ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ، وإن السماء لمثلُ الزجاجةِ ، فوالذي نفسي بيده ما وضع يديه ، حتى ثار السحابُ أمثالَ الجبالِ ، ثم لم ينزلْ عن منبره حتى رأيت المطرُ يتحادرُ على لحيته . ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلةِ ، – ورسول الله ﷺ قائم يخطب – فقال يا رسول الله ، هلكتِ الأموالُ ، وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكُها عنّا ، فرفع رسول الله – ﷺ – يده ثم قال : " **اللهم حوالينا لا علينا ، اللهم على الآكامِ ، والظرابِ ، وبطون الأودية ، ومنابتِ الشجر** " . فما يشير بيده إلى ناحية إلا تفرَّجتْ حتى رأيت المدينةَ في مثل الجوبة ، وسال (وادي قناة) شهراً ، ولم يجئ أحد من ناحية إلا أخبر بجود .

ومن دلائل نبوته – ﷺ – ما ثبت في البخاري(١) وغيره في قصة أبي رافع اليهوديِّ ، وأن عبد الله بن عَتِيْكٍ لما فرغ من قتله ، انكسرت ساقُه ، فوصل إلى النبي – ﷺ – فقال : ابسطْ رِجْلَكَ فبسطَها فمسحَها . قال : وكأنما لم أشكُها قطُّ ، والقصة مبسوطة في كتب الحديث والسير .

ومن دلائل نبوته – ﷺ – ما في البخاري(٢) وغيره(٣) : " **أنها أصابت سلمةَ بنَ الأكوع يومَ خيبرَ ضربةٌ في ساقه ، فنفث فيها رسولُ الله – ﷺ – ثلاثَ نَفَثَاتٍ قال : فما اشتكيتُ منها حتى الساعة** " .

ومن دلائل نبوته – ﷺ – ما ثبت في الصحيحين(٤) وغيرهما(٥) من حديث جابر قال :

---

(١) : في صحيحه رقم (٤٠٣٩) .

(٢) : في صحيحه رقم (٤٢٠٦) .

(٣) : كأبي داود رقم (٣٨٩٤) . كلاهما من حديث يزيد بن أبي عبيد .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٨٥) ولم يخرجه مسلم .

(٥) : كالنسائي في السنن (١٠٢/٣) .

" كان رسول الله – ﷺ – **إذا خطب يقوم إلى جذعٍ من جذوع النخل ، فلما صنع المنبر وقام عليه ، سمعوا لذلك الجذعِ صوتاً كصوت العشارِ ، حتى جاء النبي – ﷺ – فوضع يده عليها ، فسكنتْ** " . ولهذا الحديث طرقٌ ، وألفاظٌ ثابتةٌ في الصحيحين وغيرهما .

ومن دلائل نبوته – ﷺ – تكليمُ الشجرِ له .

ومن ذلك ما في الصحيحين[1] وغيرهما عن معن بن عبد الرحمن قال : " **سمعت أبي يقول : سألتُ مسروقاً : من آذنَ النبيَّ ﷺ بالجنِّ ليلةَ استمعوا القرآنَ ؟ قال : حدثني أبوك ، يعني عبدَ الله بنَ مسعود أنه قال : آذنتْه[2] بهم شجرة** " .

ومن دلائل نبوته – ﷺ – ما في الصحيحين[3] وغيرهما عن أنس " **أن النبيَّ – ﷺ – دعا بماء ، فأتى بقدحٍ رحراحٍ**[4] ، **فجعل القوم يتوضؤن** " .

وفي لفظ[4] : " **فانطلقَ رجلٌ من القوم فجاء بقدحٍ فيه ماء يسيرٌ** " ، وفي لفظ[5] لهما : " **فرأيت الماء ينبعُ من تحتِ أصابعه – ﷺ –** " ، وفي لفظ لهما : " **فتوضأ الناس وشربوا** " ، وفي لفظ البخاري[6] : " **فشربنا ، وتوضأْنا ، قلت كم كنتُم ؟ قال : لو كنا مائةَ ألفٍ لكفانا ، كنا خمسَ عشْرةَ مائةٍ** " . وفي لفظ للبخاري[7] أيضاً : " **كنا ألفاً وأربعمائةٍ أو أكثر من ذلك** " وكذا لفظ مسلم[8] ، وللحديث طرقٌ وألفاظٌ في

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٨٥٩) ومسلم في صحيحه رقم (٤٥٠) .

(٢) : آذنته : آذن بالمد : أعلم مختار الصحاح ص١٢ .

(٣) : أخرجه البخاري رقم (٢٠٠) ومسلم رقم (٢٢٧٩) .

● رحراح : الواسع القصير الجدار .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٧٤) .

(٥) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٧٣) ومسلم في صحيحه رقم (٢٢٧٩) .

(٦) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤١٥٢) .

(٧) : في صحيحه رقم (٥٦٣٩) .

(٨) : في صحيحه رقم (١٨٥٦) .

الصحيحين وغيرهما حاصلُها أهم شربوا وتوضؤوا ، وهم هذا العددُ .

ومن ذلك ما في الصحيحين(١) وغيرهما من حديث المرأة التي وجدوها ومعها مزادتان من ماء ، فانطلقوا بها إلى رسول الله - ﷺ - فشربوا منها وهم أربعون ، قد أصابهم الجَهْدُ من العطش ، وملأ كلٌّ واحد منهم قُرْبَتَهُ ، ولم يظهر في المزادتين نقصٌ ، فلما رجعت المرأةُ إلى قومها ، قالت : لقد لقيتُ أسحرَ الناس . أو أنه نبي كما زعم ، كان من أمره (ذيتَ(٢) ، وذيتَ) فهدى الله - عزّ وجلّ - ذلك القومَ بتلك المرأةِ فأسلمتْ وأسلموا .

ومن دلائل نبوته - ﷺ - ما في الصحيحين(٣) وغيرهما من حديث جابر : " **أن شاتَه التي ذبَحها لرسول الله - ﷺ - مع صاعٍ من شعير أكل منها من كان يحفرُ الخندقَ مع رسول الله - ﷺ - ، وهم ألفٌ ، وذلك لأن رسول الله بصقَ في البرمةِ ، وبصقَ في العجينِ ، وبارك في ذلك . قال جابر : فأقسم بالله لأكلُوا حتى تركوه ، وانحرفُوا ، وإن بِرْمَتَنَا ، لتغطُّ كما هي ، وإن عجينَتَا ليخبزُ كما هو** " .

ومن هذا في الصحيحين(٤) وغيرهما من حديث أنس [٣٥] في قصةِ أبي طلحةَ وامرأتِه أمِّ سليم أنها أخرجت أقراصاً من شعير ، وعصرت عليه عُكةً لها ، فقال فيه رسول الله - ﷺ - ما شاء الله أن يقولَ ، ثم قال : ائذن لِعَشَرَةٍ ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال ايذن لعشرةٍ ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ، ثم كذلك حتى أكل القوم كلهم ، وهم سبعون رجلاً ، أو ثمانونَ رجلاً ، ثم أكل رسول الله - ﷺ - وأبو طلحةَ وأمُّ سليم وأنسٌ قال : وفضلَ فضلةٌ فأهديناها لجيراننا " .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٥٧١) ومسلم في صحيحه رقم (٦٨٨) واللفظ لمسلم .

(٢) : ذيت وذيت بمعنى : كيت وكيت وكذا وكذا .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤١٠٢) ومسلم رقم (٣٠٣٩) .

لتغط : تغطي وتفور انظر الفتح (٧/٢٩٩) .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٣٨١) ومسلم في صحيحه رقم (٢٠٤٠) .

ومن ذلك ما في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة[1] ، وأبي سعيد ، وسلمةَ بن الأكوع قالوا : " **كنا في مسير لنا مع رسول الله – ﷺ – فنفدت أزوادُ القوم ، حتى همُّوا بنحر بعض حمائِلهم ، فقال عمر : يا رسول الله ، لو جمعتَ ما بقي من أزواد القوم ، فدعوتَ اللهَ عليها ! قال : ففعلَ ، فجاء ذو البُرِ ببُرِه ، وذو التمر بتمرِه ، وذو النَّوى بنواهُ ، فدعا رسول الله – ﷺ – عليها ثم قال : خذوا في أوعيتكم ، فأخذوا في أوعيتهم ، حتى ما تركوا في المعسكرِ وعاءً إلا ملؤوه ، فأكلوا حتى شبعُوا ، وفضلت فضلةٌ ، فقال عند ذلك رسول الله – ﷺ – : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، لا يلقَى اللهَ بها عبدٌ غيرَ شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة** " .

وفي صحيح مسلم[2] من حديث سلمةَ في غزوة خيبر قال : " **أمرنا أن نجمعَ ما في أزوادنا (يعني من التَّمرِ) فبسطَ نُطْعَاً فنثرْنا عليه أزوادَنا ، قال : فتطاولتُ ، فنظرتُ فحرزتُه كربضةِ شاةٍ ، ونحن أربعَ عشْرَةَ مائةٍ ، فأكلنا ، ثم تطاولتُ فحرزتُه كربضةِ الشاة** " .

وفي البخاري[3] ، قال : " **فتطاولتُ لأحزرَه كم هو ، فحرزتُه كربضةِ المعزِ ، ونحن أربعَ عَشْرَةَ مائةٍ ، فأكلنا حتى شبعنا جميعاً ، ثم حشونا جَرِبَنَا** " .

ومن ذلك ما في صحيح مسلم[4] من حديث جابر ، قال : " **جاء رجل إلى النبي – ﷺ – يستطعمه ، فأطعمه شطرَ وسقِ شعيرٍ ، فما زال الرجل يأكلُ منه ، وامرأتُه وضيفُهما ، حتى كالَهُ ، فأتى النبي – ﷺ – ، فقال : لو لم تكلْه لأكلتُم منه ، ولقام لكم** " .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٤٨٤) ومسلم في صحيحه رقم (٢٧) من حديث أبي هريرة .

(٢) : رقم (١٧٢٩) .

(٣) : في صحيحه رقم (٢٤٨٤) بنحوه مختصراً .

(٤) : في صحيحه رقم (٢٢٨١) .

وفي صحيح مسلم[1] أيضاً من حديث جابر " **أن أمَّ مالك كانت تهدي للنبي -ﷺ- في (عكةٍ) لها سمناً ، فيأتي بنوها ، فيسألون الأدمَ ، وليس عندهم شيء ، فتعمـــدُ إلى الذي كانت تهدي فيه للنبي – ﷺ – ، فتجد فيها سمناً ، فما زال يقيم لها أدمٌ بنيـــها حتى عصرتْه ، فأتتِ النبيَّ - ﷺ – فقال عصرتيها ؟ قالت : نعم . قال : لو تركتيها ما زالَ قائماً** " .

ومن ذلك ما في الصحيحين[2] وغيرِهما من حديث أنس قال : " **تزوج النـبي – ﷺ – زينبَ ، فدخل بأهلِهِ ، قال : فصنعتْ أمي أمُّ سليم حَيْساً فجعلتْه في تورٍ من حجـارةٍ ، فقالت : يا أنس ، اذهب بهذا إلى رسول الله – ﷺ – فقال له رسول الله ﷺ : اذهب فادعُ فلاناً ، وفلاناً ، وفلاناً ، ومن لقيتَ ، وسمَّى رجالاً ، قال : فدعوت من سمَّـــى ، ومن لقيتُ ، قال الجعدُ ، وهو الراوي عن أنس عددكم كانوا ؟ قال : زُهَاءَ ثلاثِمائةٍ ، قال : فقال لي رسول الله – ﷺ – : يا أنس ، هات (التورَ) قال : فدخلـــوا حـــتى امتلأتِ الصفةُ والحجرةُ ، فقال رسول الله – ﷺ – ليتحلَّق عشرةً عشرةً ، وليـــأكلْ كلُّ إنسان مما يليهِ ، قال : فأكلوا حتى شبعوا ، قال فخرجتْ طائفةٌ ، ودخلت طائفةٌ ، حتى أكلوا كلُّهم ، يا أنس : ارفع فرفعتُ . فما أدري حين وضعتُ كان أكثرَ أم حـين رفعتُ** " الحديثُ .

ومن ذلك ما في البخاري[3] من حديث أبي هريرة " **أنه أهـــدي إلى النبي ﷺ قـــدحُ لبنٍ ، فدعا أصحابَ الصفَّةِ ، فشرب كلُّ واحد منهم منه حتى رويَ ، ثم شرب أبـــو هريرة حتى رويَ ، ثم شرب النبي – ﷺ –** " .

---

(١) : في صحيحه رقم (٢٢٨٠) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥١٦٣) ومسلم في صحيحه رقم (١٤٢٨) .

(٣) : في صحيحه رقم (٦٤٥٢) .

وأخرجه الترمذي في السنن رقم (٢٤٧٧) وقال : **هذا حديث حسن صحيح** .

ومن ذلك ما في الصحيحين[(١)] من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، قال : " **كنا مع النبي - ﷺ - ثلاثينَ ومائةٍ ، فأشترى النبي - ﷺ - شاةً وذَبَحها لهم ، وأمر بسوار البطنِ أن يشويَ . قال : وأيم الله ما في الثلاثين والمائةِ إلا من قد حزَّ له النبي - ﷺ - حزَّةً من سوار بطنِها ، إن كان شاهداً أعطاه ، وإن كان غائباً خبَّأَ له ، فجعل منها قصعةً ، وأكلوا [٣٦] أجمعون ، فشبعْنَا** " وذكر أنهم حملُوا الفضلةَ على البعير .

ومن دلائل نبوته - ﷺ - ما في صحيح البخاري[(٢)] من حديث جابر ، أن والده استشهد وتركَ دَيْنَاً ، وترك ستَّ بنات ، فلما حضر جداذ النخل،قال أتيت النبي - ﷺ - فقلت : قد علمت أن والدي قد استُشْهد يومَ أُحُدٍ ، وترك دَيْناً كثيراً ، وإني أحب أن يراك الغرماءُ ، قال : اذهب فبيدِرْ كلَّ تمر على ناحية ، ففعلت ، ثم دعوته - ﷺ - ، فلما نظروا إليه ، كأنهم أَغْرَوْا بي تلك الساعةَ . فلما رأى ما يصنعون ، أطافَ حولَ أعظمِها بيدراً ثلاثَ مرَّات ، ثم جلس عليه ، ثم قال : ادع لي أصحابك ، فما زال يكيل لهم حتى أدى إليهم عن والدي أمانَته ، وأنا أرضى أن يؤدي إليهم عن والدي أمانتَه ، ولا أرجع إلى أخواتي بتمرةٍ ، فسلم الله البيادرَ كلَّها حتى إني لأنظر إلى البيدرِ الذي كان عليه النبي - ﷺ - كأنها لم تنقصْ تمرةً واحدةً .

وفي رواية[(٣)] أن جابر قد كان عرضَ على أهل الدين أن يأخذُوا التمرَ كلَّه فأبَوْا .

ومن دلائل نبوته - ﷺ - ما في الصحيحين[(٤)] وغيرهما عن جابر بن سمرةَ عن النبي - ﷺ - أنه قال : " **إني لأعرفُ حجراً بمكةَ كان يسلِّم عليَّ قبل أن أُبْعَثَ ، إني لا**

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٦١٨) ومسلم في صحيحه رقم (٢٠٥٦) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٣٩٦) .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٣٩٥) .

(٤) : لم يخرجه البخاري وأخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٢٧٧) ، وأخرجه الترمذي رقم (٣٦٢٤) .
وقال : هذا حديث حسن غريب . قلت : وهو حديث صحيح .

أعرفه الآنَ " .

وفي الصحيحين[1] وغيرهما من حديث أنس قال : صعد النبيُّ – ﷺ – أحُداً ومعه أبو بكر وعمر عثمان ، فرجفَ بهمُ الجبلُ ، فقال : " **اسكُنْ وضربَهُ برجلِه ، فليس عليكَ إلا نبيٌّ ، وصِدِّيْقٌ ، وشهيدان** " .

وفي صحيح مسلم[2] من حديث سلمةَ بن الأكوع : أن النبي – ﷺ – في غزوة حنين قبض قبضةً من الأرض ، واستقبل به وجوهَهم فقال : شاهتِ الوجوهُ فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضةِ فولوا مدبرين فهزمهم الله .

وفي صحيح مسلم[3] أيضاً من حديث العباس ابن عبد المطلب أن رسول الله – ﷺ – أخذ حصيَّاتٍ فرمى بها وجوهَ الكفار ، ثم قال : " **انهزموا وربِّ الكعبة** " .

ومن دلائل نبوته – ﷺ – ما نطق به القرآن الكريم من تأييد الله – سبحانه – له بالملائكة ، كقوله : ﴿ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ ﴾[4] ، وقوله : ﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ۝ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝ ﴾[5]،وقوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ ﴾[6] ، وقوله ﴿ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[7] . ونحو ذلك من الآيات . وقد شوهدت الملائكة

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٦٧٥) ورقم (٣٦٨٦ و ٣٦٩٧) .

(٢) : رقم (١٧٧٧) .

(٣) : رقم (١٧٧٥) .

(٤) : [الأنفال : ٩] .

(٥) : [آل عمران : ١٢٤-١٢٥] .

(٦) : [الأحزاب : ٩] .

(٧) : [التوبة : ٢٦] .

في بعض حروبه - ﷺ - .

ففي الصحيحين(١) عـــن ابن عباس قال : " **بينما رجل من المسلمين يومئذٍ يشــتدُّ في إثْرِ رجل من المشركين أمامَه ، إذ سمع ضربةَ سوطٍ فوقَه ، وصوتُ الفـــارس يقــول : أقدمْ حيزومُ ، فنظر إلى المشـــرك أمامَـــهُ فخرَّ مســـتلقياً ، فنظر إليه ، فإذا قد خُطِّـــمَ أنفُه ، وشُقَّ وجهُه كضربةِ السوطِ ، فأحضر ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري ، فحـــدث بذلك رسول الله - ﷺ - فقال : صدقتَ ، ذلك من مدد السماء الثالثةِ** " ، وذلـــك يومَ بدر .

وفي الصحيحين(٢) وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص قال رأيتُ يومَ أُحُدٍ عن يمين النـــبي - ﷺ - وعن يساره رجلينِ عليهما ثيابٌ بيضٌ يقاتلانِ عن رســول الله - ﷺ - أشـــدَّ القتال ، ما رأيتُهما قبل ذلك اليوم ، ولا بعدَه ، يعـــني جبريلَ وميكـــــائيلَ - عليـــهما السلام - .

وفي البخاري(٣) عن أنس قال : " كأني أنظرُ إلى الغبارِ ساطعاً في زقـــاقِ بـــني غنـــمٍ موكبَ جبريلَ - عليه السلام - حين سار رسول الله - ﷺ - إلى بني قريظةَ . [٣٧]

ومن دلائل نبوته - ﷺ - ما في الصحيحين(٤) وغيرهما من حديث أبي هريرةَ قـــال: " قال أبو جهل : هل يعفِّر محمدٌ وجْهَهُ بين أظهرِكم ؟ قيل نعم ؟ قال : واللات والعُـــزَّى لئن رأيتُه يفعلُ ذلك لأطأنَّ على رقَبتِه ، فما جاءهم منه إلا وهو ينكصُ علـــى عقبيـــه ، ويتقي بيديه ، فقيل له مالَكَ ؟ قال : إن بيني وبينَه لخندقاً من نارٍ ، وهولاً ، وأجنحةً " .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٩٩٢ - ٣٩٩٥) مختصراً .
ومسلم في صحيحه رقم (١٧٦٣) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٤٠٥٤) مختصراً .
ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٠٦) .

(٣) : في صحيحه رقم (٤١١٨) .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه (٤٩٥٨) مختصراً ومسلم في صحيحه رقم (٢٧٩٧) .

وفي الصحيحين[1] وغيرهما من حديث البراء بن عازب في قصةِ هجرتِه - ﷺ - عن أبي بكر قال : " **واتبعنا سراقة بن مالك بن جُعْشُمٍ ، ونحن في جدد من الأرضِ ، فقلتُ : يا رسول الله ، أُتِيْنَا ، فقال : لا تحزنْ إن الله معنا ، فدعا عليه رسول الله - ﷺ - ، فارتطمت فرسه إلى بطنها فقال : قد علمت أنكما دعوتُما عليَّ ، فادعوا لي ، ولكما أن أردَّ عنكما الطلبَ ، فدعا الله فنجا** " الحديثُ .

وفي الصحيحين[2] وغيرهما من حديث سراقةَ نفسِه قال : " **ساختْ يدا فرسي في الأرض،حتى بلغتا الركبتينِ ، فخررتُ عنها ، ثم زجرتُها فنهضتُ ، فلم تكد تخرِجُ يديْها ، فلما استوتْ قائمةً إذا لأثَرِ يديها غبارٌ ساطع في السماء مثلُ الدخان**"الحديث .

ومن دلائل نبوته - ﷺ - ما في الصحيحين[3] ، وغيرهما عن جابر قال : غزونا مع رسول الله ﷺ غزاة قِبلَ نجدٍ ، فأدركَنَا رسول الله - ﷺ - في القائلة في واد كثير العَضَاةِ ، فنزل رسول الله - ﷺ - تحت شجرةٍ فعلَّق سيفَه بغصنٍ من أغصانها ، وتفرق الناس في الوادي يستظلُّون بالشجرِ . فقال رسول الله - ﷺ - : " إن رجلاً أتاني ، وأنا نائم فأخذ السيفَ فاستيقظت وهو قائم على رأسي ، والسيفُ صلَتاً في يده ، فقال : من يمنعكَ مني ؟ قلت : الله ، فشامَ السيفُ[4] فها هو ذا جالسٌ ، ثم لم يعرض لرسول الله - ﷺ - ، وكان ملكَ قومِه ، فانصرف حين عفا عنه ، فقال : لا أكونُ في قوم هُمْ حربٌ لك " .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٦١٥) بنحوه . ومسلم في صحيحه رقم (٣٠٠٩) .

● جدد من الأرض : هو المستوى من الأرض وعند مسلم (جلد) وهما روايتان .

صحيح مسلم (١٨/١٥٠ نووي) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٩٠٦) معلقاً .

قلت : وأخرجه البيهقي في " الدلائل " (٢/٤٨٥-٤٨٩) موصولاً .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٩١٣) بنحوه ، ومسلم في صحيحه رقم (٨٤٣) واللفظ له .

(٤) : شام السيف : أي أغمده . والشيمُ من الأضداد ، يكون سَلاً وإغْماداً .

وفي الصحيحين[1] وغيرِهما عن أنس قال : كان رجلٌ نصراني فأسلمَ وقرأ البقــرةَ وآلَ عمران ، وكان يكتب للنبيِّ – ﷺ – فعاد نصرانياً ، فكان يقول : ما يدري محمــد ، إلا ما كتبت له ، فقال رســول الله : اللهم اجعله آيةً ، فأماتَهُ الله ، فأصبح وقــد لفظتْــه الأرضُ ، فقالوا : هذه فعل محمد وأصحابُه لما هرب منهم ، نبشوا عن صاحبنا فــألقُوه ، فحفروا له ، وأعمقُوا ما استطاعوا ، فأصبحوا وقد لفظته الأرض فقالوا : مثــل الأول ، فحفروا له ، فأعمقوا ، فلفظته الثالثة فعلموا أنَّه ليس من فعل النَّاس فتركوه منبوذاً " .

وفي الصحيحين[2] وغيرهما عن ابن مسعود قال : قال النبيُّ – ﷺ – : " **اللهم عليــك بأبي جهل بنِ هشام ، وعقبةَ بن ربيعةَ ، وشيبةَ بن ربيعةَ ، والوليدِ بن ربيعة ، وأميةَ بــنِ خلف ، وعقبةَ بن أبي معيط** " قال ابن مسعود : فوا الذي بعثَ محمداً بالحق ، لقد رأيــت الذي سمَّى صرعى يومَ بدرٍ سُحِبُوا إلى القليب ، قليبِ بدرٍ "وكان هذا الدعاء منــه –ﷺ – عليهم لما وضعوا عليه – ﷺ – سِلاَ الجَزُوْرِ .

ومن إجابة دعائه – ﷺ – ما ثبت في الصحيحين[3] وغيرهما أنه – ﷺ – دعا لأنــس بن مالك فقال : " **اللهم أكثر مالَه وولدَه ، وبارك له فيما أعطيتَه** " . فكان من أكــثر الأَنصارِ مالاً وولداً ، حتى روى عنه أنه دفن لصلبِه إلى عند مقدمِ الحجَّاج بــنِ يوسُــفَ بضعاً وعشرينَ ومائةٍ .

وفي الصحيحين[4] وغيرِهما أنه – ﷺ – قال لعبد الرحمن بن عوف " **بارك الله لــك ، أَوْلِمْ ولو بشاةٍ** " . فبلغ مالُ عبدِ الرحمن مبلغاً عظيماً ، قال الزهري : إنه تصدَّق بــأربع مائة ألف دينار ، وحمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ، وخمسِمائةِ بعيرٍ في ســبيل الله ، وكان عامَّةُ ماله في التجارة .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٦١٧) ومسلم في صحيحه رقم (٢٧٨١) .

(٢) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٤٠) بنحوه . ومسلم في صحيحه رقم (١٧٩٤) .

(٣) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٣٤٤) ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٨٠) .

(٤) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٣٧٨٠) .

وفي الصحيحين(١) وغيرهما أنه - ﷺ - دعا لابن عباس فقال : " **اللهم فقّهْهُ في الدين ، وعلّمه التأويلَ** " ، فكان له من العلم والدرايةِ بالتفسير [٣٨] ما هو معلوم عند كل عارف ، حتى كانوا يسمُّونه البحرَ .

وفي صحيح البخاري(٢) أن عبد الله بن هشام كان يخرج إلى السوق فيتلقَّاه ابن الزبير ، وابنُ عمرَ فيقولان : أشرِكْنا ، فإن رسول الله - ﷺ - قد دعا لك بالبركةِ فيشركُهم ، فربَّما أصاب الراحلةَ كما هي ، فيبعثُ بها إلى المترل .

وفي صحيح مسلم(٣) من حديث سلمةَ : " **أنَّ رجلاً ، أكلَ عند رسول الله - ﷺ - بشمالِه ، فقال له : كُلْ بيمينك ، فقال : لا أستطيعُ ، قال : لا استطعتَ ، ما منعه إلا الكبرُ قال : فما رفعَها إلى فيهِ** " .

واعلم - أرشدني الله وإياك - أن دلائلَ نبوَّةِ نبيِّنا محمدٍ - ﷺ - لا يحيط بها القلمُ ، وإن طال شوطُه ، وقد صنَّف أهل العلم في ذلك مؤلَّفاتٍ مبسوطةً مطولةً كما عرّفناك سابقاً ، وأرشدناك إلى مصنَّفات بعض المصنِّفينَ في هذا الشأن ، ولم نذكرها هنا إلا نزراً يسيراً ، وقدراً حقيراً مما في الصحيحين أو أحدِهما ، وقد بقي فيها غيرُ ما ذكرنا كما لا يخفى على العارف بها ، ولو ذكرنا جميعَ ما فيها وما في بقية الأمَّهات السِّتِّ ، وما في سائر كتب الحديث والسِّيرِ لجاء من ذلك كتاباً مطوَّلاً ، ومؤلَّفاً حافلاً .

ولكن لما كان الغرضُ هاهنا هو التنبيهَ على اتفاقِ جميع الشرائعِ على إثباتِ الثلاثةِ المقاصدِ التي جمعنا هذا المختصرَ لها كان فيما ذكرنا ما يفيد ذلك ، ولو كتبنا هاهنا الآياتِ القرآنيةَ الدالَّة على كل مقصدٍ من هذه المقاصد لأتينا على غالب الآياتِ القرآنية ، وعلى كثيرٍ من الأحاديث الصحيحة .

---

(١) : أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧٥) . ومسلم في صحيحه رقم (٢٤٧٧) .

(٢) : رقم (٢٥٠١ و ٢٥٠٢) .

(٣) : في صحيحه رقم (٢٠٢١) .

ثم اعلم ثانياً أن دلائلَ نبوة سائر الأنبياء ، قد اشتملَ على كثير منها القرآنُ الكـــريم ، والسُّنَّةُ المطهَّرة ، وكذلك التوراةُ والزَّبورُ ، وسائرُ كتب أنبياءِ بني إسرائيلَ ، والإنجيـــل ، وإنما اقتصرْنا على ذكر بعض دلائل نبوَّة نبيِّنا - ﷺ - ، لأن ثبوته بهذه الدلائل وأمثالهـــا تستلزمُ ثبوتَ نبوَّة جميعِ الأنبياءِ — عليهم السلام — ، لأنه - ﷺ - قد أخبرنا بأنهم أنبياءُ الله — سبحانه — كما اشتملَ على ذلك القرآنُ الكريم ، والسُّنَّةُ المطهرَّة .

فثبوت نبوَّتهِ يستلزمُ ثبوتَ نبوة سائرِ الأنبياء .

ووجهُ ذلك أن ثبوتَ نبوَّتِه يستلزمُ ثبوتَ جميع ما أخبر به وصحتَه .

ومما أخبر به ثبوتُ نبوة جميع الأنبياء ، فكان في ذكر دلائل نبوَّته ما يغني عـــن ذكـــر دلائل نبوةِ سائرِ الأنبياء ، ولهذا اقتصرنا على ذلك .

وبمجموع ما ذكرناه تقرَّر اتفاقُ الشرائعِ جميعِها على إثبات تلك المقاصدِ الثلاثة وهـــو المطلوب .

والحمد لله أولاً وآخراً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه .

كان الفراغ من تحرير هذا المختصرِ يومَ الأربعاء ليلةَ السابع والعشرين من شهر ربيـــع الآخر من شهور سنة إحدى وثلاثينَ بعد المئتينِ والألفِ .

بقلم مؤلِّفه المفتقر إلى رحمة الله ومغفرتِه ورضوانِه محمد بن علي الشوكاني - غفـــر الله لهما - .